



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة -

قسم اللغة والأدب العربي



الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر

- أبو القاسم خمار -

محمد الأخضر السائحى أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر L.M.D في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

ذويب عز الدين

إعداد الطالبتين:

✓ رميكي نرجس

✓ حمزاوي عفاف

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	جامعة تبسة	أستاذ محاضر (أ)	علاوة نصري
مشرفا ومقررا	جامعة تبسة	أستاذ مساعد (أ)	عز الدين ذويب
عضوا مناقشا	جامعة تبسة	أستاذ محاضر (ب)	سعد الله مكي

السنة الجامعية: 2018-2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

نتقدم بالشكر للأستاذ: ذويب عز الدين، الذي نسأل الله العظيم أن يمن عليه بوافر العافية والعيش
أرغده والعمر أسعده والإحسان أتمه والعمل أصلحه والعلم أنفعه والرزق أوسع

والشكر الجزيل للأساتذة الكرام جازاهم الله خير الجزاء

على ما قدموه من نصح وتوجيه وتقييم وتقويم.

مفاتيح

المذاهب الأدبية اتجاهات ومبادئ فنية، تتكون في جملة من الخصائص والمميزات التي تفصلها عن غيرها، ويعتمد كل مذهب على قوالب تسيّر فنونهم وإبداعاتهم حسب الطبيعة والظروف التي تحيط بهم وتؤثر فيهم.

وبذلك يعد المذهب الرومانسي واحدا من هذه المذاهب الإبداعية والفكرية والنقدية ظهر في مطلع ق 19 على غرار المذهب الكلاسيكي، تمردا على قبوله القديمة، ورغبة في التحرر والإتيان بالجديد، والسير مع متطلبات الحياة، مناديا إلى الشموخ العاطفي والخيالي على العقل.

وقد ظهر هذا الاتجاه أولا في الغرب، ثم انتقل إلى العالم العربي، وكان رائدها الأول هو خليل جبران، وقد سيطر هذا الاتجاه على جميع الأصعدة النثرية منها والشعرية.

ونجد انتشار هذا الاتجاه في الجزائر في مجال الشعر حديثا على يد رمضان حمود، حيث ساهمت في نشأته بعض المؤثرات السياسية والاجتماعية والثقافية، التي ساعدت في رواج هذا الاتجاه وانتشاره في الساحة الفنية والشعرية خاصة، وذلك تجاوبا مع نفسية الشعراء آنذاك، وردة فعل على تلك الأوضاع التي يعيشها المجتمع الجزائري، فما هي إذن الرومانسية؟ وما هي خصائصها ومميزاتها؟ وكيف تجلت الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث؟ وما هي المؤثرات التي ساعدت في انتشار هذا الاتجاه؟

وعلى إثر هذه التساؤلات كان موضوع مذكرتنا محددًا كالاتي:

« الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر أبو قاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي أنموذجا ».

ودوافع اختيارنا لهذا الموضوع عديدة منها:

* التعمق والمعرفة بمدى ميل الشاعر الجزائري إلى هذا الاتجاه.



* رغبتنا في إشباع فضولنا العلمي والمعرفي لمثل هذه الدراسات، مع توجيه الباحثين من الطلبة للاهتمام بالأدب الجزائري وبيان أهميته وقيّمته الفنية ومكانته بين الآداب العربية الأخرى.

وللإجابة على إشكالية البحث قسمناه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملحق وقائمة مصادر ومراجع.

ففي الفصل الأول خصصناه لتحديد المفاهيم، والذي قسمناه إلى عدة مباحث، بدأناه بمفهوم الوجدانية والرومانسية، ثم الرومانسية الغربية والعربية، ثم الرومانسية في الشعر الجزائري الحديث، وأهم المؤثرات التي ساعدت على بروزها.

أما في الفصل الثاني موسوما بـ «المظاهر الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث»، والمتمثلة في الألم والحزن والعاطفة والحب والذاتية والطبيعة والغربة.

أما الفصل الثالث يشمل ثلاثة مباحث، الصورة الشعرية واللغة الشعرية والإيقاع الشعري.

أما الملحق رأينا أن نقدم بطاقة فنية ذاتية، لشاعرين «أبو قاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي»، وانتهينا في الأخير إلى خاتمة حوصلنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، ثم قائمة المصادر والمراجع التي كانت مصدرا أساسيا وسندا قويا في تجلية أبعاد الموضوع وإشكالاته أهمها:

* المذاهب الأدبية لدى الغرب لعبد الرزاق الأصفر.

* محمد ناصر في كتابه الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية.

* مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر لنسيب نشاوي.

* الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر لعبد القادر القط.

ولم يكن من السهل علينا التوصل إلى إنجاز هذه المذكرة والوصول إلى المبتغى بسهولة، وذلك

نظرا إلى بعض الصعوبات التي كانت حاجزا في طريقنا منها:



- قلة المراجع والدراسات الأدبية المتعلقة بالشعر الجزائري وخاصة ما تعلق بالشاعرين، أبو القاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي.

والحقيقة كل بحث لا يخلو من صعوبات فبالصبر والحكمة، ونصائح المشرف تم تذليل الصعوبات.

ولقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التحليلي الوصفي.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذنا المشرف "عز الدين ذويب" الذي تكبد عناء الإشراف علينا، ولم ييخل علينا بمعرفته، وإلى الأساتذة المحترمين الذين شرفونا بمناقشتهم لمذكرتنا وأسهموا في ترفيتها بأرائهم وتصويباتهم فلهم منّا كل الامتنان والشكر على فضلهم.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

المبحث الأول: (الوجدانية/الرومانسية)

أولاً: الرومانسية

ثانياً: الوجدانية

المبحث الثاني: الشعر الوجداني:

أولاً: الشعر الوجداني

ثانياً: علاقة الوجدان بالشعر

المبحث الثالث: الرومانسية الغربية

المبحث الرابع: الرومانسية العربية

المبحث الخامس: الاتجاه الرومانسي وخصائصه

أولاً: الاتجاه الرومانسي

ثانياً: خصائص الاتجاه الرومانسي

المبحث السادس: الوجدانية والشعر الجزائري الحديث.

أولاً: مؤثرات التي أدت إلى ظهور الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري

ثانياً: أعلام الرومانسية الجزائرية

المبحث الأول: (الوجدانية / الرومانسية)

أولاً: الرومانسية

لقد سئم الأدباء والشعراء من الكلاسيكية فبدأت حينئذ في التبخر الاندثار فأخذ الأدباء يتخلصون من قيودها وصنعتها وهذا بسبب ما أنتجته من ملل وضيق في النفس، وتطلعوا بعد ذلك إلى ضرورة وجود اتجاه جديد يتسم بالبساطة والحرية ويتمشى مع الحياة وبذلك ظهرت حركة سميت بالاتجاه الرومانسي.

وقد انطلقت كلمة الرومانسية من عدة أصول ولها الكثير من المفاهيم، ونجد أن أصولها تعود إلى « الرومانتية Romantisme نسبة إلى كلمة رومان Roman التي كانت تعني خير العصر الوسيط حكاية المغامرات شعرا ونثرا وتشير إلى المشاهد الريفية بما فيها من الروعة والوحشة »⁽¹⁾، وانتقلت بعد ذلك إلى الانكليزية Romantique وإلى الألمانية Romantisch⁽²⁾.

وفي ما سبق نجد أن كلمة الرومانسية تنحدر من أصول عديدة وتقدم عدة دلالات فمنها ما يمثلها في رواية تلك المغامرات والإثارة سواء كانت شعرا أو نثرا، وتعني أيضا تلك الصور الطبيعية والريفية وتختلف معنى الكلمة من منطقة إلى أخرى.

وأول ما ظهر المصطلح في ألمانيا ولكنه كان واسع المفهوم ولم يكن له معنى محدد « فأحيانا كان يعني القصص الخيالي وأحيانا التصوير المثير للانفعال، وتارة ما يتصل بالفروسية والمغامرة والحب تارة أخرى »⁽³⁾.

ونجد هنا أن مصطلح الرومانسية واسع النطاق فهو ينحدر ويعبر عن عدة مجالات.

(1) - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 1999، ص 41.

(2) - أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، دط، 2005، ص 267.

(3) - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص نفسها.

يعد المذهب الرومانسي من أبرز المذاهب الأدبية، وتعتبر جوهر الكتابة الأدبية لدى الأدباء من خلال ثورتهم على كافة القيود والأوضاع المنبثقة على الكلاسيكية فبذلك لا بد من الإشارة إلى أدبائها.

« لعل جاك روسو أول من استعمل هذه الكلمة في وضعه لإحدى بحيرات سويسرا بقوله » إن شطآن بحيرة بيان أكثر وحشية ورومانسية من شطآن بحيرة جنيف لأن الصخور والغابات أكثر متاخمة لمياهها... وقد اتسع معنى الكلمة بعدها وصار يطلق على المناظر الشعرية وقصص أسطورية وحوادث خرافية ومن ثم على الإنسان العالم المنطوي على نفسه المستسلم لمشاعره وأحزانه بقلق واضطراب»⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد يعد جاك روسو المنظر الأول للرومانسية من خلال وضعه لإحدى بحيرات سويسرا، بيد أن هذا المفهوم انتشر وتوسع بسرعة فائقة حتى صار يطلق على إحدى المناظر الشعرية وقصص أسطورية وأحداث خرافية فهي مزيج من الأسطورة والخرافة، وعلى الإنسان الضعيف الذي استسلم للحياة من خلال عواطفه.

« وقد استعملها أيضا في روايته (ملويز الجديدة) ويعني بها الجمال الشعري الخارق الذي لا يفسر»⁽²⁾.

« وأول من استعمل كلمة رومانس بالمعنى الاصطلاحي جونسون، فقد وردت في كتاباته النقدية بمعنيين: الأول للذم (سخافات رومانسية وخرافات لا تصدق)، والثاني للمدح (عندما ينشر الليل جناحيه على مشهد رومانسي يحيم معه الهدوء والصمت والسكينة)»⁽³⁾، وردت كلمة رومانس في الاصطلاح إلى معنيين الأول للمدح والثاني للذم.

(1) - أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص 267، 268.

(2) - إبراهيم خليل: الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، عمان، ط 1-2، 2003، 2007، ص 117.

(3) - المرجع نفسه، ص نفسها.

من خلال هذا نصل إلى أن المذهب الرومانسي يتسم بالعواطف، التي تستمد من الموسيقى أو الطبيعة أو الشعر، فهو مزيج بين خيال وعاطفة سمي رومانسيا.

ثانيا: الوجدانية

يعتبر الوجدان من الخصائص والسمات الخاصة التي يتميز بها الاتجاه الرومانسي فهو عنصر يتعلق بالعاطفة والإحساس العميق، فهو يراد به المذهب الأوروبي (الرومانتيكية) لاشتراكه معه في كثير من خصائصه وسماته ويبين عبد القادر القط في كتابه العظيم "الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر"، أن معنى كلمة وجدانية تبين أن « تلك التسمية أقرب إلى الطبيعة الشعر العربي الحديث»⁽¹⁾، أي أن هذا المصطلح يمثل المدرسة الرومانسية كما يسميها الآخرون والوجدانية طريقة يعبر بها الشعراء عن ذواتهم الداخلية بأرقى العبارات.

فالتجربة الوجدانية تتعلق بالعاطفة وهي من أقوى التجارب الشعرية فهي تعبر عن ذواتهم وخلجات أنفسهم.

ويعد الوجدان مصطلحا أدبيا أشار إليه جبور عبد النور فقال «الوجدان: حالات نفسية من حيث تأثيرها باللذة أو الألم»، ويرى أنها تنجم عنها معرفة واستشهاد، بقول جبران: "إن الوجدان البشري لا يدرك نواقص الحياة، وحتى معاني الحياة إلا من الصدام المؤلم" فالوجدان يتأثر بمؤثرات الحياة وتنوعها وتضادها، فيحدث له ذلك جدلا مما يثير انفعاله»⁽²⁾.

وحسب أقوال جبور للوجدان أنها تعني الحالات النفسية التي تنتاب الإنسان وتؤثر فيه وفي مشاعره، وهذا الوجدان يتأثر أساسا بالحياة الاجتماعية وما ينجم عنها من التغييرات سواء أكانت لذة أو ألما.

(1) - عبد القادر قط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، د بلد، دط، 1988، ص 10.

(2) - د. مسعد بن عيد العطوي: الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط2، 1420هـ، ص 68.

وقد كتب عن الوجدان أيضا الأديب عبد السلام عمر بقوله أنه « قوة من قوى الشعور كامنة في النفس تنزع بصاحبها إلى التجمل بكل خلق كريم ... فهو إحساس رقيق علوي سمته النبل والنزاهة واللطف وظواهره الشرق وكرامة النفس والإحسان »⁽¹⁾.

ويمثل الأديب عبد السلام الوجدان بأنه قوة كامنة ترتبط بالشعور داخل ذات صاحبها فتجعله إنسان مرهف الإحساس، رقيق الطبع ويتسم بكل صفات النزاهة والكرامة والإخلاص العظيم.

⁽¹⁾ - د. مسعد بن عيد العطوي: الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، ص 72.

المبحث الثاني: الشعر الوجداني

أولاً: الشعر الوجداني

لقد اتسم الشعر في الآونة الأخيرة بالطابع الوجداني فأنتج أشعاراً تفوح بالعواطف والأحاسيس وقد ربطوا هذا الشعر خاصة بالشعر الغنائي « ويعبر هذا الشعر عن إحساسات متأتية من الداخل أو من الخارج لذلك اقتضى أن تكون للعواطف الفردية والجماعية صفة شاملة ... ويبعث في السامع أو القارئ شعوراً بالاستلطاف، ويتجاوز إحساسات رجل معين في فترة زمنية عابرة فلا يمس مشاعر الإنسانية، وبهذا يتعارض في صميمه مع الشعر المبهم»⁽¹⁾.

وبهذا نجد أن الشعر الغنائي هو الشعر الوجداني عاطفي بالدرجة الأولى وذلك أنه يعبر عن إحساسات وعواطف فردية وجماعية فهو ينبع من مشاعر تمس وجدان الإنسانية ويتجاوز الإحساس بالواقع.

والشعر الوجداني هو نوع من حالات نفسية وذلك لتأثرها باللذة والألم وتعبير عن انفعالات وعواطف وأهواء وقد عرف ابن طباطبا الشعر الوجداني في كتابه "عيار الشعر" بأنه « الشعر الذي يحكي ما في نفس السامع ويحسن التعبير عنه، فيتهجج لذكر ما قد عرفه طبعه، وقبله فهمه، فيثار بذلك ما كان دفيناً، ويبرز به ما كان مكنوناً، فينكشف للفهم غطاؤه، فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه»⁽²⁾.

أي أن الشعر الوجداني هو ذلك النوع من التعبير عن الأحاسيس والمشاعر التي تثير ما كان راكداً ومدفوناً في النفس وبهذا ينتج ويثير تلك التجربة الجياشة الصادقة بعيداً عن التستر، والبوح

(1) - إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص 9.

(2) - المرجع نفسه، ص 11.

بشكل عفوي تلقائي « وينطلق من قلب الشاعر ليتوجه إلى قلبه موحدًا بين الذات والموضوع »⁽¹⁾، لينتج ذلك القالب الغنائي ذات المشاعر المرفهة الحساسة.

ثانياً: علاقة الوجدان بالشعر

للشعر علاقة وطيدة مع الوجدان، فالشاعر في هذه العلاقة « يبرز تلك الذات المليئة بالعواطف والأحاسيس ويعبر بكامل حرية وذاتية لذا نجد الشعر يعبر عن الحياة بما يحسها الإنسان من خلال وجدانه ولهذا كانت وظيفته الأولى التعبير عن الجوانب الوجدانية من نفس الإنسان وأسمى درجات الشاعرية ... صادرة عن نشوة الداخلية واللذة الوجدانية »⁽²⁾.

وبهذا نجد أن الوجدان هي الطريقة المميزة التي يستطيع الإنسان من خلالها وصف وتعبير عن ما بداخله بأسمى درجات الشعور والعواطف وهذا ما يعتمد عليه الشاعر حيث « ينظر إلى المجتمع البشري من خلال نافذة وجوده ويرصد ما تدور فيه من روابط وصلات ويتكيف مع ما تسوده من عادات وتحكم عليه من أفكار وآراء اجتماعية وذلك بنظراته الحادة ثم بعد ذلك ينفعل ويتأثر بما يمليه عليه المجتمع فتجيش في خلده مشاعر وعواطف تعكسها قريحته بكل شفافية ويجوله وجدانه المتدفق »⁽³⁾.

وبذلك يكون الشاعر الوجداني متكلم بلسان مجتمعه من خلال ناقدة وجوده فهو يرصد ما يتعلق بمجتمعه من أفكار وتعليمات ويتأثر بها بعد ذلك فتصبح نُهراً من العواطف والمشاعر والأحاسيس المتدفقة التي تقوم من وجدان الشاعر.

(1) - إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، ص 12.

(2) - مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، الوجدانيات في أشعار الشريف الرضي، ص 39.

(3) - المرجع نفسه، ص نفسه.

المبحث الثالث: الرومانسية الغربية

يعد العالم الغربي الرائد الأول لبروز الرومانسية، لأنه وجد فيها التربة الخصبة لهيمنتته على جميع الأصعدة، فظهرت بذلك كل أنواع العاطفة والخيال والشعور والانفعالات ولذلك « يحتوي المضمون الرومانسي في الآداب الغربية على الوصف العاشق لجمال الطبيعة، والعودة إلى عصور الفروسية، وتقدير الإنسان واحترام كيانه ... ولكن الذاتية أو الفردية أهم خصائص الرومانسية فغالبا ما نجد الرومانسي دأثر في ذاته »⁽¹⁾.

وفي هذا نجد أن مضمون الأدب الغربي يتمركز على عشقه للطبيعة وجعلها ملاذا له، ويقدم الإنسان ويجعله الأساس في الحياة والكون، والإيمان بالذاتية واعتبارها المنبع الأصيل للعواطف والأحاسيس والمركز الذي يقوم عليه الرومانسي.

وإن بروز الرومانسية الغربية بدأ خاصة في ألمانيا عندما استعملت مصطلح الرومانسية لأول مرة في « القرن الثاني عشر، ولم يكن ذا مفهوم واضح الحدود »⁽²⁾، لأنه كان يؤول إلى عدة مفاهيم ومعان.

ولم يتوقف المذهب الرومانسي عند ألمانيا فقط بل نجده عند فرنسا أيضا فقد أصبح عندها هذا المصطلح شائعا فأدخلته في جميع مجالاتها، ولقد حاول مؤرخو الأدب البحث عن البوادر الأولى لهذا المذهب في فرنسا « فرما يدهش من أنه عليه أن يرجع إلى منتصف القرن الثامن عشر، هذا القرن الذي يعرف عنه أنه عصر الفلسفة والتنوير، هذا القرن الذي رأى ازدهار الأفكار بصفة خاصة،

⁽¹⁾ - نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984، ص 158.

⁽²⁾ - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص 40.

فحوالي عام 1750 تفجر نبع من الأحاسيس الفياضة أخذت مياهه تتغلغل وسط الأفكار الفلسفية «(1).

يبدو أن الرومانسية الفرنسية ظهرت في القرن 18 وذلك مواكبة لعصر التنوير حيث ازدهرت الثقافة والفكر عند الفرنسيين آنذاك مع انفجار تلك الينابيع الوجدانية والأحاسيس للأديب الفرنسي وخاصة حول أفكاره الفلسفية.

ومن هذا أخذت الرومانسية الفرنسية في « تغني بجمال الطبيعة المحيطة به ويعبر عن مكنون نفسه لأنه يعتقد أنه من خلال ذاته يعبر عن أحلام وآمال وآلام الآخرين .. ففي مقدمة ديوانه الغنائي العظيم "التأملات" يخاطب فيكتور هوجو - وهو من أعظم شعراء الرومانسية - قارئه قائلاً: «عندما أكلمك عن نفسي فإنما أكلمك عن نفسك، آه كم أنت مجنون لو ظننت أنني لست أنت!» «(2).

برزت الطبيعة عند الفرنسيين الرومانسيين كرمز لامع الذي من خلاله تتفجر تلك الأحاسيس والعواطف، ومن خلالها يعبرون عن أحلامهم وآلامهم ومكنونات ذواتهم، ولقد كان فيكتور هيجو الرائد الأول، والشاعر العظيم للمذهب الرومانسي الفرنسي وهذا من خلال ديوانه "التأملات".

وعندما نتجه صوب الانجليز نجد أن الرومانسية دخلت عندهم في « القرن السابع عشر، فأصبحت تعني كل الأشياء المرتبطة بالخيال الجامح والغرام الملتهب، وهو المعنى الذي ساد أوروبا بصفة عامة، لكن في القرن الثامن عشر بدأ الناس في أوروبا ينظرون إلى الرومانسية نظرة أكثر احتراماً وعمقا «(3).

(1) - آمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، دار المعارف، القاهرة، دط، 1119، ص 6.

(2) - المرجع السابق، ص 4 و5.

(3) - نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية للنشر، مصر، القاهرة، دط، 2003، ص 312.

برزت الرومانسية الإنجليزية في مرحلتين ففي المرحلة الأولى كانت تمثل تملك العواطف الملتهبة والخيال المحلق أما في القرن 18 بدؤوا ينظرون لها نظرة أكثر احتراما وتحفظ عميق.

ويبدو أن الرومانسية من ناحية تجلياتها وجدناها عند الألمان ثم إنجلترا ثم التحقت إلى فرنسا.

- أعلام الرومانسية الغربية:

1) برسي شيللي: (1792 - 1822)

يعد من أبرز شعراء المدرسة الرومانسية في الشعر الإنجليزي « كان مرهف الحس، خصب الخيال، دقيق الملاحظة، يعشق الحرية، ويهوى الطبيعة ويمجد الحب كما كان يؤمن بصلاح البشرية، وبدور الشاعر الكبير في صلاحه، وجمع إلى هذا كله تمكنه من اللغة وحسن اختياره للألفاظ»⁽¹⁾.
كان شيللي من أصحاب المواهب الشعرية المثالية في الشعر الإنجليزي، كان يمتلك ذلك الحس المرهف والحساس هذا ما جعله يغرق في الرومانسية فأصبح يعشق الحرية والطبيعة ويعبر عنهما بأرقى الألفاظ وبلغة فنية موسيقية.

ونجد من قصائده المشهورة قصيدة "إلى طائر" التي يقول فيها:

« تحيا لك ! إنك روح مرحة

ولست بطائر،

فمن السماء أو من حولها

تسكب قلبك كله

في أنغام غزيرة تنبع من فن عفوي!

عاليا ثم عاليا

تنطلق من الأرض

(1) - مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العالمي (ج2)، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، الاسكندرية، دط، 2002، ص 93.

مثل سحابة من نار»⁽¹⁾.

2) لامارتين (1790-1869)

« ألفونس دولا مارتين شاعر رومانسي كبير وقاص ومؤرخ ولد في ماكون بفرنسا، ونشأ في وسط مثقف متدين أتاح له العلم والمطالعة والتأمل والأحلام، وكتب الشعر في سن مبكرة وقام برحلة إلى إيطاليا أغنت شعره بألوان عذبة جديدة»⁽²⁾.

يعد لامارتين من الشعراء الكبار الرومانسيين، وإن حياته المليئة بالعلم والمعرفة هي ما أتاحت له الإبداع وخاصة بألوان الشعر الجديدة.

ولقد اعتمد لامارتين في شعره الرومانسي على الغنائية وهذا نابع « من تواصل عفوي وسيط يبدأ بشكوى أو أسف ثم تنتهي بالتفكير والتأمل، وهذا ما كان يلائم نفسية المجتمع ... لأن النفوس الحساسة المتألمة تحتاج إلى هدهدة اللحن المتناغم والنشوة الموسيقية الغامضة»⁽³⁾.

تعد غنائية لامارتين نتاج ذلك التأمل والقلق الذي يغمر نفسية الشاعر الذي وجد اللحن والموسيقى الملجأ لنفسيته الحساسة التي تتماشى مع أوتاره الرومانسية.

ومن أمثلة (غنائية) الغنائي للامارتين "الوحدة"

« على الجبل، وفي ظل سنديانه عمجوز، وقت المغيب

كثيرا ما أجلس كئيبا،

ألقي نظراتي بين الحين والآخر،

على السهل الذي تنبسط لوحته المتغيرة أدنى من قدمي

هنا يصطحب النهر بأواجه المزبدة»⁽⁴⁾.

(1) -مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العالمي (ج2)، ص نفسها.

(2) - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص 76.

(3) - المرجع نفسه، ص 77.

(4) - المرجع نفسه، ص 78.

يعبر لامارتين في شعره هذا على شعوره بالوحدة والاكتئاب ويجسدهم على شكل الجبال والأنهار لأن هذا النوع من الأماكن تشعر الشخص بالراحة والاطمئنان، وأيضا توظيفه لمصطلح المغيب لأنه زمن السكون والهدوء وهذا ما يجعل الشعور بالوحدة قويا.

3) فيكتور هوغو (1802 - 1885)

هو من الأدباء الكبار الفرنسيين « القرن التاسع عشر، ولد في بزانشون وتحول في صباه بصحبة والده القائد العسكري في كثير من البلاد خارج فرنسا »⁽¹⁾.

وقد اعتمد فيكتور هوغو في أشعاره « الرومانسية الغنائية، أقل عفوية وصدقا من لامارتين ولكنه أكثر تنوعا وشمولا قال عنه نفسه: "إنه روح من البلور وصدى مرجع" غنى كل موضوعات عصره وكل عواطف الحب المشروع، ومشاعر الأسرة والأولاد والوطن والصراع الفلسفي والديني ولغز الموت والمجهول، والثقة بمستقبل من الحرية والتقدم إنه باختصار الموسوعة الغنائية لعصره »⁽²⁾.

تعتبر الرومانسية الغربية لدى فيكتور أفل عفوية وصدق من أشعار لامارتين لكنها موضوعاتها متنوعة وشاملة، فموضوعاتها متعددة الحب، المجتمع، الوطن فهو عبارة عن اختصار لموسوعة غنائية لعصره.

ونجد من الرومانسية الغنائية لفيكتور بعنوان «نشوة الطبيعة»

« .. النجوم الذهبية في جحافلها اللامتناهية،

بصوت جهير وبصوت خفيض وبآلاف التناغمات،

كانت تقول خافقة بتيجانها النارية:

(1) - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص 65.

(2) - المرجع نفسه، ص 66.

إنه الله .. المولى العظيم ..! «⁽¹⁾.

يبين فيكتور هوغو في شعره هذا عشقه الكبير للطبيعة ووصفه لتلك النجوم المتناثرة وكأنها تبعث نعمات بأصوات مختلفة تنادي باسم الله عز وجل وتعظمه.
وفي هذا نجد أن الفضل يعود إلى هؤلاء الأعلام وغيرهم في انتشار وشمول الرومانسية واتساعها في البلدان ومن بينهم الوطن العربي.

⁽¹⁾ -عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص 66.

المبحث الرابع: الرومانسية العربية

في ظل الصراعات التي عانى منها العرب سعت بذلك للنهوض وتحدد مستغلة بذلك النهضة الأوروبية فظهرت طائفة من الأدباء والمتقنين بلغو مستوى من التفطن معتمدين بذلك على وجدانهم وعواطفهم ودعوا إلى البحث عن خطى جديدة ينطلقون بها نحو الأمام، تقوم على العاطفة والخيال المجنح نحو اكتشاف الذات والتعبير عنها، واعتمدت بذلك على عدة مرتكزات وموضوعات التي تثيرها بدأت مع الألم والشكوى والجنوح إلى الخيال المخلق واستعمال الألفاظ الموحية على تلك العاطفة المدفونة بتوظيف ذاتية الأديب وفي ظل هذه الظروف انتشرت الحركة الرومانسية عند العرب « يرقبون من خلاله عالمهم المتغير ويعبرون عن تجاربهم الفنية ومشاعرهم الذاتية بأساليب فيها كثير من الحدة العاطفية والخيال الجامح والصور المستحدثة والمعجم الجديد»⁽¹⁾.

وفي هذا نجد أن الرومانسية أداة يتقرب من خلالها الشاعر أو الأديب عن تجربته الداخلية الفنية بفيض من المشاعر والأحاسيس بأساليب فائقة التصوير والخيال وباستعمال ألفاظ ذات معجم جديد.

يعتبر الأدب الرومانسي من أهم الاتجاهات الأدبية لما يحمله من خصائص فنية ولعل ما ينبغي التذكير به أولاً هو الكشف عن النواة الأولى لظهور الرومانسية في المجتمع العربي، « ترجع إلى بدايات النهضة الحديثة في مطلع القرن التاسع عشر، وقد كان من أهم مظاهرها تقدم التعليم، وتحرير امرأة، ونمو الاقتصاد، والتطلع إلى الاستقلال الوطني. وبلغت قمتها في ثورة 1919، وإنشاء بنك مصر سنة 1920، ويميز القط من بين جوانب النهضة الجانب الاقتصادي، الذي يرى أنه كان أهم العوامل في نشأة الحركة الرومانسية»⁽²⁾.

(1) - عبد القادر قط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص9.

(2) - د. شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1993، ص33.

إن ظهور الرومانسية بدأ مع ظهور مطلع القرن 19 وهذا نظرا لتقدم وتغيير الذي ساد على الساحة الفنية وتحرير المرأة وخاصة الجانب الاقتصادي فهو أهم عامل لنشأة هذه الحركة.

وقد اقتصر هذا الاتجاه عند العرب على الجانب الأدبي وابتدع فيه نهجا جديدا من الابتكار، ونرى أنه .. يوجد تشابه بينه وبين الرومانسي الغربية من حيث ظروف النشأة وطبيعة هذا الاتجاه.

ونرى أن الرومانسية العربية قد بلغت ذروة تطورها في « الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين تبدو من ناحية جغرافية وثقافية »⁽¹⁾.

إن الرومانسية رغم وجودها لبيئة مصاحبة لها لكنها لم تتوقف عند هذا الحد بل سارت نحو التطور والتقدم وهذا ما لاحظناه في القرن 20.

وقد وجدت الرومانسية العربية طريقها نحو الانطلاق والتوسع في عدة مجالات ونذكر منها بالأخص المدارس الثلاثة (مدرسة أبولو، مدرسة الديوان، الرابطة القلمية) التي تبنت الرومانسية وأعطتها قيمة عظيمة في محتواها.

I- الرابطة القلمية (شعراء المهجر):

تعد من أهم الجمعيات الأدبية التي تأسست من قبل الكتاب والشعراء وقد تكونت في «نيويورك عام 1920، وقد شكلتها جماعة صغيرة مختارة من أدباء الطليعة الذين على الرغم من اختلافهم في المستوى الفني والإنتاج كانوا يؤمنون جميعا بضرورة التغيير وإدخال وسائل ومواقف جديدة على الشعر العربي»⁽²⁾، تأسست هذه الجماعة لاتحادها على مبدأ واحد وهو الرغبة في التجديد وخاصة في مجال الشعر، وكان في هذه المجموعة ستة من الشعراء وهم (جيران خليل جبران،

⁽¹⁾ - سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: د.عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2001، ص381.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص167.

ميخائيل نعيمة، نسيب عريضة، رشيد أيوب، ندره حداد، إيليا أبو ماضي) وقد كان جبران رئيساً لهذه الجمعية.

وقد أنشأت هذه الجماعة أو هؤلاء الشعراء والأدباء نوعاً من الشعر وأدب غني بتلك المشاعر والأحاسيس والعواطف « ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن ويصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة، ... وشعرهم هو الشعر المهجري الذي أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث»⁽¹⁾.

كانت تجربة هذه المدرسة هي وصف لحياتهم في شتى المجالات سواء أكانت مريرة أو سعيدة وخاصة ذلك النوع من الحنين والغربة والصدق الشعوري.

ومن هنا نجد أن هذه المدرسة قد توجهت الاتجاه الرومانسي وجعلته رمزاً لها وهذا ما قام به جبران رئيس الرابطة عند وجه « شعراءها نحو الرومانسية المُنحَة، وامتد تأثيره إلى الشرق العربي، بشعره الموزون، وبشعره المنثور، وبالشعر المهموس»⁽²⁾، وإضافة إلى هذا لقد اتبع رواد هذه المدرسة المذهب الرومانسي بجميع حذافيره ذلك لأنهم وجدوا فيه ذلك الطابع الذي يعبر على توجهاتهم ومعاناتهم وهذا ما يحافظ على استمرارية المشاعر في قصائدهم وعلى إثارة عواطفهم.

وقد ظهر هذا النوع من الاتجاه في هذه المدرسة بسبب تأثيرهم بعوامل شتى منها:

«1: وجود هؤلاء الشعراء خارج أوطانهم وبلدانهم مما جعل الحنين موضوعاً مشتركاً في أكثر قصائدهم والغربة إحدى اللواعج التي يعانون منها»⁽³⁾.

إن الحنين والغربة هما العاملان اللذان أدى إلى تبني هذا الاتجاه الوجداني

(1) - محمد خفاجي: مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء لندنيا للطباعة، ط1، 2004، ص70.

(2) - المرجع نفسه، ص73.

(3) - إبراهيم خليل: الشعر العربي الحديث، ص120.

«2: ظهور حركات فكرية وسياسية هزت الكثير من القناعات التقليدية مما فتح الباب أمام ظهور تيارات أدبية جديدة.

3: ظهرت في هذه الحقبة أيضا الفكرة القومية التي تنادي بإقامة دولة عربية واحدة على أساس قومي تؤمن بالتراث العربي المشترك»⁽¹⁾.

إن تأثير الحياة الفكرية والسياسية برزت نقطة تدعو إلى التجديد ومحاربة التقليد وفتح آفاق جديدة لإبداعات أخرى، وأيضا فكرة القومية التي نادى بتوحيد وإقامة دولة عربية واحدة تشترك في جميع الأسس والمقامات.

II- مدرسة الديوان:

هي مدرسة أدبية نادى إلى فتح آفاق جديدة، من ناحية الشعر والدعوة إلى التجديد فيه والابتداع، وكان إبداعهم هو تأثيرهم بالثقافة الغربية، وقد قاموا مؤسسي هذه المدرسة بخدمة كبيرة نخصوية في ميدان الشعر وقد كان روادها هو ثلاث « عبد الرحمن شكري إبراهيم المازني وعباس العقاد»⁽²⁾، وقد أدى هؤلاء الإعلام وظيفة كبيرة في هذه المدرسة، وقد تطور المذهب الرومانسي في آدابهم وأشعارهم بصورة كبيرة فقد كانوا يعتمدون على أحاسيسهم، ومشاعرهم والاعتماد "ضوء الفجر"

«ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان»⁽³⁾.

وهذا يبين أن هذه المدرسة تتبع طريق وسبيل وجدانها وعواطفها الدافئة لقد امتزج الشعر الجزائري بثقافة الرومانسية الغربية وتجلت هذه الثقافة بطريقة كبيرة في أشعارهم « وخصوصا الثقافة

(1) - إبراهيم خليل: الشعر العربي الحديث، ص 121.

(2) - محمد خفاجي: مدارس الشعر الحديث، ص 123.

(3) - المرجع نفسه، ص 144.

الانجليزية الرومانسية في الغرب وكذلك عند شعرائنا العرب لذلك رأينا شعرهم يفيض بالتشاؤم والأين والشكوى من الظلم وقسوة الحياة»⁽¹⁾.

إن التأثير الكبير بالاتجاه الرومانسي جعل من أعلام هذه المدرسة شعرهم يفيض ويغمر بالألم والحسرة والأين وهذا ما نتج عن تلك الظروف القاسية في حياتهم.

III- مدرسة أبولو:

تعتبر مدرسة أبولو من المدارس الأدبية والشعرية التي نادى بالتحديد وكانت أول مدرسة خاصة بالشعر ونقده، ونشأت هذه المدرسة في «1932 أعلن الدكتور أحمد زكي أبو شادي ميلاد مدرسة أدبية جديدة أطلق عليها اسم جماعة (أبولو) وقال عنها في مجلته التي أصدرها باسم مجلة أبولو أنها مدرسة جديدة»⁽²⁾.

وتضم هذه المدرسة مجموعة من الأدباء وهم: أحمد محرم، إبراهيم ناجي، علي محمود طه، كامل الكيلاني، أحمد ضيف، أحمد الشايب، أحمد زكي أبو شادي وغيرهم ولقد أختير أمير الشعراء أحمد شوقي ليكون رئيساً لهذه المدرسة ومن ثم الشاعر خليل مطران.

لقد كان للمدرسة أبولو علاقة وطيدة بالرومانسية، وهذا نجم عن ذلك الضغط والتقييد الذي انجرا من الشعب الانكليزي للشعب المصري وهذا ما ولد ذلك الانطواء على النفس من قبل الشعراء ما انجر عنه الألم والحزن وقد اتضح هذا في أشعارهم وعناوين دواوينهم مثل «أبو شادي "الشعلة" و"فوق العذاب" ولإبراهيم ناجي "وراء الغمام" ولعلي محمد طه "الملاح التائه" ... ويعتقد بعضهم أن الرومانسية في الوطن العربي بلغت ذروة مجدها في "مدرسة أبولو"»⁽³⁾.

⁽¹⁾ - د. أحمد محمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء، الاسكندرية، دط، 2000، ص92.

⁽²⁾ - محمد خفاجي: مدارس الشعر الحديث، ص175.

⁽³⁾ - د. نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص225.

تحتوي مضامين الآداب للشعراء مدرسة أبولو جميعها على رمز الرومانسية التي لا حدود لها، وقد برزت أيضا في هذا المجال عن طريق مجلتها (أبولو).

- أعلام الرومانسية العربية

1) علي محمود طه (1902 - 1949م)

يعد علي محمد طه من الشعراء الرومانسيين بلا منازع « عاش حياة منعمة، ببلاد أوروبا إذ زار إيطاليا وسويسرا والنمسا، ويمتاز شعره ببساطة التركيبات واستحداث التشبيهات »⁽¹⁾.

وقد تكلم عنه شوقي ضيف بأنه « رقيق الألفاظ متألق التعابير، جيد اختيار الكلمات يعنى عناية خاصة بالموسيقى الشعرية، يكثر من وصف الطبيعة والجوانب المترفة من الحياة »⁽²⁾.

لقد كان علي محمود طه من الشعراء الرومانسيين الذين يتميزون بطابع البساطة واللغة الرقيقة المتألفة، كان يختار كلماته بعناية شديدة، ويتميز بحبه للطبيعة وعاشقا لمناظرها الخلابة، وقد كان هذا جليا وبارزا في معظم أشعاره، وقد كان أول ديوان له « الملاح التائه » (1934).

ونذكر من بين أشعاره "أغنية ريفية"

« إذ داعب الماء ظل الشجر

وردت الطير أنفاسها

وناحت مطوقة بالهوى

ومر على النهر ثغر النسيم

نجد علي محمود طه في هذه القصيدة أنه استعمل عنصر الطبيعة بصفة كبيرة وهذا دليل على

عشقه وتعلقه بها، ويتميز أيضا بلغة بسيطة وبعبارات رقيقة حساسة (النسيم، الندى، الزهر ...)

2) إيليا أبو ماضي (1889 - 1957)

(1) - فايز علي: الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، ص 387.

(2) - المرجع نفسه، ص نفسها.

(3) - علي محمود طه: ديوان علي محمود طه، دن، دط، دت، ص 36.

يعد إيليا أبو ماضي أيضا من أعلام الرومانسية العربية فقد اتخذها منهجا له، لديه كتابات في « نزعة رومانسية كرفاقة، لكنه لم يجر فيها إلى نهاية الشوط ولم تعصف به عاطفة التشاؤم التي عصفت بغيره »⁽¹⁾.

إن النهج الذي اتبعه إيليا في رومانسيته لم يوصله إلى المرحلة التي تجعل من الأديب شخصا ضعيفا متشائما مثل رفقائه.

ونجد من أشعاره تغنيه بالطبيعة « قصيدة الطبيعة »

« روض إذا زرته كئيبا	نفس عن قلبك الكروبا
يعيد قلب الخلي مغرا	وينسي العاشق الحبيبا
إذا بكاه الغمام شقت	من الأسى زهره العيوبا
تلقي لديه الصفا ضروبا	ولست تلقى له ضريبا
وشاه قطر الندى فأضحى	رداؤه معلما قشيبا
فمن غصون تيمس تيبها	ومن زهور تضيع طيبا» ⁽²⁾ .

يعبر الشاعر في قصيدته عن الطبيعة، فهو يلجأ إلى الطبيعة فيجد فيها الطمأنينة والسكون فهي تساعد الإنسان على نسيان همومه وأحزانه. فالطبيعة هي التي يستند إليها في التعبير عن ذاته، وبذلك تصبح منبعاً لتفجير براكين مشاعره وعواطفه.

⁽¹⁾ - فيصل سالم العيسى: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري العلمية، عمان-الأردن، دط، 2006، ص60.

⁽²⁾ - حجر عاصي: شرح ديوان إيليا أبو ماضي، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1999، ص90.

3) رشيد أيوب: (1871/1941)

يوجد العديد من الأدباء والشعراء الرومانسيين العرب اللذين كانت تجربتهم الأدبية إنعكاسا بالحركات الأدبية السائدة الغربية وتأثرا بها ومنهم رشيد أيوب وقد تأثر « خاصة بالرومانسية التي تمت بدورها الانتفاضات الأمريكية والفرنسية، وذلك الحنين إلى التحرر عن القيود المجتمع، فاصطبغ أدب شاعرنا بالحزن والألم والتعلق بالطبيعة ... وقد مجد الألم في قصيدته "لعل غدي" وفيها يقول:

دموع بعيني لم تجمد	ونار بقلبي لم تخمد
فيا دمع هل أنت من لجة	ويا نار هل أنت من موقد
أقلب طرفي يرحب الفضاء	وأمضى حزيننا إلى مرقد ⁽¹⁾ .

إن رومانسية رشيد أيوب اصطبغت بطابع الحزن والألم، وتعلقه الكبير بالطبيعة لأنه رآها الصديق المخلص والوفاي وملاذه الوحيد الذي يسقط عليها همومه.

وهناك أعلام أخرى جعلت من الرومانسية رائدها الرسمي، ونخص بالذكر أعلام الرابطة القلمية (جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، نسيب عريضة) وأيضا رواد مدرسة الديوان (عبد الرحمان شكري، إبراهيم المازني وعباس العقاد) ونذكر أيضا رواد مدرسة أبولو (أحمد زكي أبو شادي، إبراهيم ناجي، علي محمود طه، أحمد ضيف وخلييل مطران) وغيرهم من الشعراء اللذين أبدعوا وفق هذا المذهب.

(1) - فيصل سالم العيسى: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 60.

المبحث الخامس: الاتجاه الرومانسي وخصائصه

أولاً: الاتجاه الرومانسي

إن الاتجاه الجديد الذي ظهر حكراً على المذهب الكلاسيكي هو الاتجاه الرومانسي، وقد ظهر في الدول الأوروبية، ومواكبا للكلاسيكية الجديدة « كلتاهما نتاج الثورة الفرنسية ... الأولى كانت فيها الرسمي - والثانية تولدت عنها ومهدت الثورة لها الطريق - الأولى حركة عقلانية - والثانية وجدانية »⁽¹⁾.

تعد كل من الرومانسية والكلاسيكية الجديدة نتاج الثورة الفرنسية غير أنهما يختلفان في الخصائص وذلك أن الكلاسيكية فن يعتمد على العقلانية ويعبر عن حركة المجتمع دون الإحساس، أما الرومانسية فهي ثورة مفعمة بالوجدانية وتعتمد على المشاعر والأحاسيس وبذلك يعتبر المذهب الرومانسي « مذهب أدبي بعينه ذي خصائص معروفة، استخلصت على المستوى النقدي من مجموع ملامح الحركة الأدبية التي انتشرت في أوروبا في أعقاب المذهب الكلاسيكي ... ويعرف غايتان يكون (أحد مؤرخي الأدب الفرنسي) الرومانسية بقوله "إنها مجموعة أذواق متزامنة، وحرية خالقة، ولا يهم أي شيء يخلق، لكنه شخصي وأصيل وغير تقليدي يشعرون به في الوقت نفسه، إن الرومانسية في شعاره كل شيء مسموح به" »⁽²⁾.

نجد أن الرومانسية تتميز بخصائص معروفة استخلصتها من حركتها الأدبية وحسب ما جاء في قول غايتان فهي مجموعة من الأذواق والحرية شخصية وأصيلة وأنه اتجاه رافض للتقليد والاحتذاء بالقديم، وهو تعبير عن المشاعر الأصيلة الصادقة بكل حرية، ويقدم التصور والتفكير جديد للواقع ويقدم القلب على العقل.

(1) - عبد اللطيف سلمان: الفن الرومانتيكي، الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، ص 144.

(2) - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص 43.

ثانيا: خصائص الاتجاه الرومانسي

تتمثل خصائص الاتجاه الرومانسي في مجموعة من النقاط التي يتميز بها عن باقي الاتجاهات الأخرى وتتمثل في:

1) الحزن والألم:

يعد طابعا الحزن والألم من الخصائص التي تمتلك الشاعر الرومانسي وهذا ناتج عن تلك المشاعر الرقيقة المرفهة التي تجعله أو تدفعه « على البوح بما في نفسه من شعور بالألم والوحدة »⁽¹⁾، فصدق عاطفته تجعله للانفجار هما يجول في نفسه سواء أكان الشعور سيئا أو جميلا.

2) الطبيعة:

لقد اتخذ الشعراء الطبيعة أنيسا وملاذا وجدوا فيها رمز الصفاء والراحة النفسية وتوحي لهم بانفعالات الحب والحرية وجعلوا منها الصديق الوفي الصادق الذي يزيغ فيه لأن « الإحساس بالطبيعة أبسط أشكال الحاجة إلى القرار التي تستحوذ على الرومانسيين. ويتجلى - أولا - بالبحث عن الوحدة التي يفتح فيها كيانهم بحرية، من غير أن يكبحه أو يفسده الاتصال بالناس، الوحدة البعيدة عن المدن، في قلب الطبيعة، حيث تتدفق (الأنا) في مونولوج غنائي لا يعكس نشوته شيء، وقد دفع حب الوحدة الرومانسيين إلى الحقول والغابات والجبال أو البحر »⁽²⁾.

إن عشق الرومانسي للطبيعة هو إحساس يستحوذ الشاعر والأديب للوصول إلى كيانه بحرية دون إزعاج واكتظاظ، وهذا عند فراره وحده للطبيعة والاستلام لها، وبذلك توقظ فيه ذلك القلب المتدفق المتوهج الذي يبعث في روحه تلك النغمات الساحرة الرنانة.

(1) - إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، ص 12.

(2) - نغم عاصم عثمان: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، دب، ط1، 2017، ص 71.

3) الذاتية:

تعد الذاتية من أهم الخصائص التي يتميز بها الرومانسي « فغالبا ما نجد البطل الرومانسي دائر داخل محيط ذاته المغلقة عليه سواء أكان مطحونا تحت وطأة الحزن والكآبة والملل أم ثارا عنيفا ضد ركود المجتمع فهو يفضل العاطفة على المنطق والمثالية على الواقعية»⁽¹⁾.

وبذلك ترى أن ذاتية الشاعر موجودة في جميع الجوانب سواء كان هذا من جانب الألم والحزن أو العنف أو من جانب العاطفة وهذا ما يفضله الإنسان الرومانسي.

4) العاطفة:

إن الرومانسية أساسها الأول هو العاطفة وتدعوا بذلك إلى التخلي على العقل والمنطق والاعتماد على الخيال والإلهام والعواطف « إذ اتخذ الحب عند الرومانسيين أهمية خاصة، - فمرد ذلك - أولا - إلى غلبة العاطفة على العقل والإرادة، غلبة الحياة العاطفية على المظاهر الأخرى للشخصية. وذلك طابع جوهري للنفس الرومانسية»⁽²⁾.

تعد العاطفة والحب الجوهر الأساسي للروح والنفس الرومانسية، وقد غلبت هذه العاطفة على شخصية الشاعر والأديب إذ أصبحت الملهم والغذاء الروحي له.

5) توظيف المرأة:

استعمل الرومانسيون المرأة كرمز للحب والعاطفة فاتخذها ملاذا يفر إليه هروبا من الألم والقهر، فيجد في قربها نبع الحياة والعاطفة، فقد اتخذت المرأة في الأدب الرومانسي « مكانة كبيرة، لم

(1) - نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ص 314.

(2) - نغم عاصم عثمان: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، ص 62.

تظفر بمثله من قبل، فقد أدى السمو بالعواطف والصدق فيها إلى نوع من تقديس المرأة والإشادة بها والخضوع لسلطانها»⁽¹⁾.

إن المكانة التي سيطرت عليها المرأة في الأدب الرومانسي، أدى إلى نوع من تقديسها والخضوع لها، وليس هذا الخضوع يعد ضعفا من طرف الأدباء والشعراء بل نوع من صدق العاطفة وسموها ورقتها ولهذا « تغنوا بالمرأة وخضعوا لسلطانها وأشادوا بذكرها»⁽²⁾، رأوا فيها ذلك الملاك الطاهر البريء الصادق.

6) الخيال:

يعد الخيال هو منبع الرؤى العميقة الروحية التي تجعل من الرومانسي إنسان مبدعا خالقا جانحا بخياله وإبداعاته، فتلك المشاعر والأحاسيس تجعل من شاعر شخصا « يخلق مع الخيال وينفعل بالأحاسيس الفياضة ويطرب للإيقاع الخلاب»⁽³⁾، وهذه هي حالة ذلك الرومانسي الحساس الذي يتعامل مع قلبه المرهف وشاعريته.

(1) - نغم عاصم عثمان: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية ، ص نفسها.

(2) - شفيق بقاعي، سامي هاشم: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1979، ص70.

(3) - أمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، ص7، 8.

المبحث السادس: الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث

يختلف تعريف الرومانسية من بلد لآخر، ونجد أن الأدباء والشعراء الجزائريون فضلوا مصطلح الشعر الوجداني على الشعر الرومانسي في أشعارهم وذلك لتمييزه بالطابع الذاتي وتمتلك نبرات داخلية وأحاسيس ومشاعر، وقد بدأ تجلي هذا النوع من الاتجاه (الاتجاه الوجداني) في بداية القرن العشرين، ذلك أن الوجدان « أمر يشمل الانفعال والعاطفة، وعلى هذا فالسرور الذي يشعر به الإنسان عند رؤية منظر طبيعي، أو الألم الذي يعتريه من حادث مؤلم، لا يسمى انفعالا فقط، ولا عاطفة فقط وإنما هو مزيج من الاثنين معا »⁽¹⁾.

وقد انتشر هذا الوجدان في جميع مجالات في حياة الجزائريين وخاصة في ميدان الأدب والشعر، « ويمكننا القول بأن الاتجاه الوجداني الرومانسي في الشعر الجزائري قد نشأ تحت ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية معينة، وأن نشأته هذه هي ردة فعل تلقائي من قبل الشعراء للتعبير عن مشاعرهم إزاء هذه الظروف »⁽²⁾.

نجد أن هذه الظروف التي عاشها المجتمع الجزائري هي التي أدت إلى ظهور الاتجاه في الشعر الجزائري لتعبير عن مشاعرهم نتيجة هذه الظروف، ما هي إذن هذه الأسباب التي أدت إلى تبني هذا الاتجاه؟.

(1) - شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص 119.

(2) - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

ط1-2، 1985-2006، ص 125.

أولاً: المؤثرات التي أدت إلى ظهور الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث

يبدو أن الاتجاه الوجداني تعلق بالشعر الجزائري الحديث وأصبح جوهر الذي يبنى عليه الشاعر إبداعاته، ولا بد من أن هذا لم يتولد من الفراغ بل لقد هيأت له بعض الظروف والأسباب التي دفعته إلى الظهور، فما هي هذه الأسباب؟

أ) المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

إن وجود الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث بدأ نتيجة لبوادر اليقظة قبيل الحرب العالمية الأولى « مع بداية الوعي بالواقع الاجتماعي والسياسي، فإن الأوضاع المؤلمة التي فرضها المستعمر آنذاك تعد مؤثراً أساسياً في طغيان مشاعر الحزن والكآبة التي لونت الشعر الجزائري آنئذ حتى غدت طابعا عاما يميز أغلب الإنتاج الشعري الذي ظهر في العشرينيات⁽¹⁾، إن نمو هذا الوعي في عقول المجتمع الجزائري على مستوى الاجتماعي والسياسي ناتج عن ذلك الحزن والألم الذي لحقهم جراء المستعمر وهذا ما ظهر في أشعارهم وإبداعاتهم.

ولقد صاحب النهضة في الجزائر بعض الأوضاع الاجتماعية « قلقة أبرزها الصراعات الدينية والفكرية بين دعاة السلفية والمتفرنسين من جهة وبين الطرقية والسلفيين الإصلاحيين من جهة ثانية⁽²⁾».

ونرى أن ظهور النهضة في الجزائر صاحب موجة القلق والنزعات على مستوى الأوضاع الاجتماعية مما أدى إلى زحزحة الفكر عند طائفة الشباب خاصة.

(1) - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ص 88.

(2) - المرجع نفسه، ص 89.

ونجد أيضا « بروز الحركة الإصلاحية التي أثرت مباشرة على نفوس الشعراء الذين دب فيهم روح الأمل، فأخذوا يتخلون عن آبتهم ويأسهم »⁽¹⁾.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ظهرت بعض التغييرات على جميع ميادين الحياة « ولاسيما في الميدان الوطني وقد يكون تأثيرها على الشعراء عميقا »⁽²⁾.

ولقد كان الوضع الاقتصادي سببا أيضا في إتباع المنهج الوجداني وذلك سبب « الحالة الاقتصادية في الجزائر بلغت من التردّي مبلغا فضيعا وبات أكبر داء تنن منه الأمة الجزائرية، وأعظم مصيبة ترزح تحتها هي الأزمة الاقتصادية التي تكتسح المسلمين الجزائريين »⁽³⁾.

إن تلك الأزمة التي ضربت الاقتصاد الجزائري انجر عنه آلاف المآسي (المجاعة، الفقر، الأمراض، التسول...) وهذا ما أدى إلى تأثر الجزائريين وشعورهم بالألم والحزن والاكتئاب.

ومن هذه الأوضاع (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) أدت إلى تأثر الشعراء تأثيرا مباشرا نحو الاتجاه الوجداني، وميلهم إلى التعبير عن المشاعر والأحاسيس الفردية.

ب) المؤثرات البيئية والنفسية:

هناك مؤثرات بيئية ونفسية إلى جانب المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويعني تلك المؤثرات البيئية المحيطة بالشاعر التي تولد فيه ذلك الشعور إما أن يكون ألما أو فرحا.

⁽¹⁾ - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ص 89.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 92.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص نفسها.

وتتنوع هذه البيئات بتنوع المشاعر ونفسية الشاعر ونجد مثلا « البيئة الصحراوية ذات الطابع العربي المحافظ على تنمية روح التقليد والمحافظة عند بعض الشعراء الجزائريين، فإن هذه البيئة نفسها عملت على تفجير روح التمرد وحب التجديد عند بعض الشعراء الآخرين »⁽¹⁾.

ونلاحظ في أن البيئة الصحراوية ذات تأثير مزدوج فمنها من عمل على طابع التقليد والمحافظة على التراث القديم، ومنها من اتبع ونهج منهج التجديد والاختراع.

ونجد بعض الشعراء الذين عاشوا في البيئة الصحراوية ومنهم: « رمضان حمود، أبو قاسم سعد الله، أبو قاسم خمارا ومحمد الأخضر السائحي ... ويقول محمد الأخضر السائحي: ... فإن لطبيعة الصحراء أثرا كبيرا لأن أكون شاعرا، فللصحراء قدرة على الإيحاء »⁽²⁾.

ومن هذا نجد أن معظم الشعراء الوجدانيين ولدتهم الصحراء، والأثر الكبير الذي طبعته الصحراء في نفوسهم.

ولا ننسى أيضا « الطابع الذي يتأثر به الشاعر فكل شاعر له جوهره وانفعالاته الخاصة، بل الشعراء يختلفون نفسيا في درجات الانفعال فمنهم المتفائل ومنهم المتشائم، منهم الصبور المتحمل، ومنهم القلق المتوثب »⁽³⁾.

إن هذا الطابع الوجداني ذات النفس الحساسة والمتأثرة يتميز ويختلف اختلافا ملحوظا بين شاعر وآخر وهذا راجع حسب نفسية كل شاعر الخاصة والعوامل التي دفعته لاختيار مساره سواء كان متفائل أم متشائما وطريقة انعكاس تلك البيئة عليه.

⁽¹⁾ - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ص 122.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 122.

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 123.

ج) المؤثرات الثقافية:

نتج الكثير من المؤثرات ساعدت على نمو الشعر، سواء أكانت سياسية، اجتماعية، اقتصادية أو ثقافية نتيجة التحولات أدى إلى بروز اتجاه وجداني رومانسي، حيث كان رواد الجزائر مع صلة مع روافد المشرق والمهجر من خلال إطلاعهم على أدبهم مما جعل الشعراء الجزائريون يكتشفون جوانب عديدة في الشعر أكسبهم معارف متعددة، حيث كانوا الشعراء الجزائريون يستقون من مصدرين عربي والآخر غربي.

1- المصدر العربي: نجد أن المصدر العربي كان الأقوى من خلال اتصال الشعراء الجزائريين منذ النهضة بالشعر الوجداني القادم من المشرق والمهجر من خلال الكتب والمجالات، حيث انحصر معالم الاتجاه الرومانسي عند خليل مطران، مدرسة الديوان، شعراء المهجر خليل مطران يعد رائد من رواد التجديد وأستاذ من خلال مساهمته في خلق جو من الرومانسية في القصيدة « إن خليل مطران كان مقروءاً من طرف الشعراء الجزائريين، معطياً عندهم بالإعجاب والتقدير »⁽¹⁾، لقد نال خليل مطران إعجاب كبير من قبل الجزائريين من خلال إطلاعهم على أدبه وشعره، لكن القراءة كانت محدودة في إطار شعراء مدرسة الأحياء، فخليل مطران متأثر شوقي، حافظ...

أما مدرسة الديوان فهي تعد من أقل المدارس التي لها تأثير في الشعر الجزائري فروادها نجدها بنسبة قليلة فهم بأقلامهم يذكرون شعر العقاد، المازني، عبد الرحمن شكري من خلال إطلاع شاعر جزائري مثل رمضان حمود على آثار مدرسة الديوان من خلال نظريات حول الشعر لكن التأثير يظل محدوداً « لا يتعدى من خلال الاطلاع على النظرية النقدية التي هاجمت القديم ودعت إلى التجديد »⁽²⁾، مما سبق نصل إلى أن نسبة التأثير كانت معدودة من خلال إطلاعهم على النظرية النقدية التي رفضت القديم ودعت إلى التجديد.

(1) - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ص 96.

(2) - المرجع نفسه، ص 98.

أما شعر المهجر مازال شعراء المهجر محافظين على مكانة الشعر الجزائري الحديث، فهو يعتبر ذو مكانة بارزة ومعتبرة بالنسبة لهم لاسيما الشعر الوجداني، لكن يكمن هذا الأثر فيه « الشعراء ذوي الاتجاه الوجداني لا يقل عن الأثر الذي تركته مدرسة الأحياء »⁽¹⁾.

لذلك يمكن القول أن شعراء الاتجاه الوجداني متأثر بمدرسة الأحياء.

حيث كانت مجلة الشهاب تنشر انتاجاتهم وتتبع أخبارهم وقد كانت مع علاقة مع مجالات أخرى كالسمير لإيليا أبو ماض.

فقد نشرت الشهاب لكل من جبران خليل جبران، فوزي المعلوف ... فقد كانت محله هنا الجزائر تعني بشعراء المهجر حيث كانت تنشر لهم إنتاجاتهم الشعرية أو النثرية كإيليا أبو ماضي، جبران خليل جبران ...

جماعة أبولو يعتبر أحمد أبو زكي شادي، مؤسس جماعة أبولو فقد كان مع علاقة وطيدة مع إدارة هنا الجزائر « وكان أحمد أبو زكي شادي عند هؤلاء رائد الاتجاه التجديدي وأستاذ للمدرسة الحديثة »⁽²⁾، من خلال هذا نتوصل إلى أن أحمد أبو زكي شادي كان على صلة وطيدة مع إدارة الجزائر حتى اعتبروه المنظر الأول الذي نادى بالتجديد وأستاذ للمدرسة الحديثة.

2- المصدر الغربي: لقد ساعدت عدة مؤثرات على نمو الشعر ويرجع الفضل إلى اطلاع الشعراء والأدباء على أشعار الفرنسي والانجليزي، مما يرجع هذا الأثر على انتاجاتهم الشعرية وقد ظهر في أعمال خليل مطران ... والسؤال الذي يبادرنا كيف تأثر الأدب الغربي على المجتمع الجزائري لعل أول هذه المؤثرات هو المؤثر الغربي « فقد اتصلت الجزائر بفرنسا سياسيا واقتصاديا وارتبطت به ثقافيا

(1) - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ص 98.

(2) - المرجع نفسه، ص 110.

وحضاريا منذ عام 1830 «⁽¹⁾، لقد كانت الجزائر مع علاقة وطيدة بفرنسا من نواحي سياسية واقتصادية من خلال التأثير بالثقافات الغربية.

وقد استمر هذا التأثير بالحضارة والثقافة الغربية « بطيئا متناقلا فلا يجد من الآذان والقلوب المتفتحة والعقول المستهلكة إلا أرقاما قليلة بين قائمة الشعب الضخمة، لكن البطء بدأ منذ الحرب العالمية الأولى تدفعه الأطماع السياسية وبغيره المستقبل الحضاري المشترك بين الشعبين الفرنسي والجزائري «⁽²⁾. لقد اطلع الأدباء على الثقافات الغربية وتأثر بها لكن هذا التأثير لم يحقق الرواج الكافي فلم يتوسع سوى نسبة قليلة.

إن كل هذه المؤثرات المتداخلة أدت إلى بروز وجداني رومانسي، بفضل إطلاع الأدباء الشعراء الجزائريين على أدب المشرق والمهجر، مما أكسبهم معارف جديدة في الشعر وقد تجلّى بفضل العواطف والأحاسيس التي تخلل الشاعر.

ثانيا: أعلام الرومانسية الجزائرية

ظهر العديد من الشعراء الجزائريين الذين تبنا الاتجاه الرومانسي وعلى رأسهم حمود رمضان الذي يعد المنظر الأول لهذا الاتجاه مما أدى إلى بروزه في الشعر الجزائري، وسنحاول التعرف على عدة نماذج من هذا الاتجاه وأولهم.

أ- حمود رمضان: (1906-1929)

« من مواليد غرداية بالجنوب الجزائري ... وهو شاعر وكاتب وطني ثائر ثار على الفكر والجمود في الشعر والفكر، مثلما ثار على الظلم الاستعماري الفرنسي مات في ثلاثة وعشرين من عمره من آثاره بذور حياة، الفتى

(1) - أبو قاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص 23.

(2) - المرجع نفسه، ص 24.

نموذج من شعره: (الحرية)

لا تلمني في حبها وهواها	لست أختار ما حيتت سواها
هي عيني ومهحتي وضميري	إن روحي وما إليه قداها
إن عمري ضحية لأراها	كوكبا ساطعها ببرج علاها
فهنائي هو كل برضاها	وشقائي مسلم بشقاها» ⁽¹⁾ .

تعبر قصيدة رمضان حمود عن النفس العاطفية والرومانسية الذي ألقاها في كامل شاعرية، فهو يعبر عن صدق الإحساس في التجربة الفنية، فالشاعر قبل أن يكتب شعرا يجب عليه أن يكون صادق المشاعر.

ب- أحمد سحنون: (1907-1325)

« من مواليد بالزاب الغربي قريبا من مدينة بسكرة ... تميز شعر أحمد سحنون بالوطنيات والإسلاميات على الخصوص، اشتمل على الوجدانيات والقوميات

نموذج عن شعره: (الكشافة)

كشاف يا ابن الطبيعة	وابن الحقول البديعة
كان للبلاد دليلا	كن في الجهاد طليعة
كن للجزائر عينا	ترى وأذنا سمعية
خصومها لم يزالوا	يبيتون الخديعة» ⁽²⁾ .

تعبر قصيدة أحمد سحنون عن الطبيعة، فتحولت إلى مصدر إلهام حيث منعت أشعارهم حيوية وشدة وشحنت صورهم بعواطف متباينة مختلفة.

⁽¹⁾ - الربيعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، ج1، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2002، ص 435، 436.

⁽²⁾ - المرجع نفسه، ص 501، 502.

الفصل الثاني

مظاهر الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث

المبحث الأول: الألم والحزن

المبحث الثاني: العاطفة والحب

المبحث الثالث: الذاتية

المبحث الرابع: الطبيعة

المبحث الخامس: الغربة

المبحث الأول: الألم والحزن

لقد طغى على الشعر الجزائري الوجداني طابع الألم والحزن والمآسي وذلك يعود إلى تلك الظروف القاسية التي عاشها المجتمع الجزائري وخاصة الحقبة الاستعمارية التي شاعت فيها كل أنواع العذاب، والشعور بالحزن وروح التشاؤمية وغلبة روح الكآبة والإحساس بالموت.

ومن أهم دواعي هذا الحزن والألم هو الفساد والتفكك الاجتماعي وتلك الفجوات الغير أخلاقية وإن هذا الشعور بالحزن والألم هو « شعور يكمل ما لمسناه عندهم من إحساس بالغربة وعدم الانسجام مع العالم الخارجي، ولا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفات الشعرية أو النثرية التي خلفوها من التعبير عما كان يجتاح أنفسهم من حزن وكآبة »⁽¹⁾.

لا بد من أن هذا الحزن والألم ناجم عن تلك الظروف المعاشة وهذا ما يظهر في مؤلفاتهم المعبرة عن هذا الشعور وإن « سبب انسياق الشعراء الجزائريين خلف رغبة التعبير عن مشاعر الحزن والكآبة إلى ما كان الجزائريون يعيشونه من آلام بسبب إحساسهم بالظلم والمهانة »⁽²⁾.

وبذلك نجد أن ذلك الظلم والوجع الذي كان يشعر به الشعراء الجزائريين هو ما فجر تلك البراكين الخاملة المليئة بالآم والأحزان.

وفي هذا الموضوع نجد من الشعراء الجزائريين الذين عبروا عن أحزانهم محمد بلقاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي اللذان عبرا عن مآسيهم وأحزانهم وشعورهم بالضياع نتيجة لظروف سياسية واجتماعية وخاصة في ظل المستعمر الظالم.

⁽¹⁾ - فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، د بلد، دط، دت، ص 126.

⁽²⁾ - يوسف ناوري: الشعر الحديث في المغرب العربي (ج1)، دار تويقال، المغرب، ط1، 2006، ص 202.

فنلمح مثلاً في قصيدة "الجريمة" لبلقاسم خمار التي يقول فيها:

« مالي أرى وجه الربى متجها	ما للكآبة والتكدر في السما
ما للسحاب تهاطلت أمطاره	والبرق أرعد، والظلام تعاظما
ما للعواصف ولولت بعويدها	حتى استحال الأفق رعباً قاتماً
ما لي وهذا البحر كدر صفوه	واهتاج بالويل الغضوب مدممدا
ما لي أرى الدنيا حزينا لوئها	ويحي لركب الحسن أن تحطما
عجبا للبس كالطلامس غامض	حتى ملئت تسألاً وتشاؤماً» ⁽¹⁾ .

بين الشاعر في هذه القصيدة حزنه وأسفه الشديديان على الزعيم الكبير "فرحات حشاد" الذي اغتيل، وقد عبر عن هذا الحزن بأسمى العبارات والمشاعر المتألّمة، وقد وصف يوم اغتياله باليوم المظلم المعتم الذي يملؤه الاكتئاب والتكدر، يوم ولولت فيه العواصف والرعود وكأن الدنيا بأكملها تلونت بالحزن على ما صار له، كانت مأساة تهاطلت وانهمرت فيها الدموع وانغمرت نفوس الشعب بحزن كبير، يوم اشتعلت فيه الآلام والأحزان لفقدان مثل هؤلاء الرجال.

ونلاحظ في قصيدة لمحمد الأخضر السائحي الذي تملكه فيها أقصى أنواع الألم والحزن وهي قصيدة تتكلم عن القضية الفلسطينية وهي القضية التي أسرت قلوب كل الشعوب العربية ويقول في هذه القصيدة:

« يا أخي لبّ النداء	فلقد طال المدى
من سوانا يا أخي	لفلسطين الفدا؟
إنها أرض الحدود	كيف تعطى لليهود؟

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، المؤسسة الوطنية، 2005، ص24.

يا فلسطين غدا	قل غدا سوف نعود
يا ابن أُمِّي وأبي» ⁽¹⁾ .	يا أخي عربي
سوف تعلق الفرقدا	« بك أوطاني وي
قد وقفنا لنذود	كلنا اليوم جنود
فلقد طال المدى	عن فلسطين اليهود
سوف نحمي عرضنا	سوف نفدي أرضنا
في ميادين الغدا» ⁽²⁾ .	ونؤدي فرضنا

ويتضح من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يدعوا أبناء أمته وأبناء العرب كافة إلى النهوض، ورفع شعار الحرية على أرض فلسطين، والتصدي إلى اليهود، فلقد طال بها العذاب وبين أن هذه الأرض هي أرض جميع العرب، فعلينا حماية موطننا وأرضنا والدفاع عنها وعن أعراضنا، والوقوف يدا واحدة في وجه العدو، وعدم الاستسلام لاسترجاع هذه الأرض الطاهرة وتحطيم القيوم التي تكبلها بكل قوة وعزم.

فهذا الألم الذي تملك الشاعر جعله يصرخ وينادي إلى صحوة الضمير العربي لاسترجاع أرض عربية وراء القضبان.

إن الشاعر العظيم بلقاسم خمار في تعبيره عن تلك التآزمات والآلام التي يشعر بها ليس من منظور وطنه ومحله فقط بل يتكلم باسم العروبة ككل، وخاصة مما يعانيه الإنسان من تهديم لكرامة العربي، وهذا ما تراه عندما يتكلم عن القضية التي شملت العالم وهي القضية الفلسطينية كما تكلم عنها محمد الأخضر السائحي أيضا ولقد وضع لها عنوان فلسطين.

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص143.

(2) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص143.

"فلسطين"

« يا فلسطين سلام في السفر
لم يشأ ربك أن تتخذ لي
شاءها منا خؤون مسلم
شاءها منا مسيحي وما
فرمو فيك يهوديا لم
يا فلسطين أفيقي واقراي

...

أدركوها عادة مغدورة
هذه أعراضكم أقداسكم
أنقذوها إنما أنتم لها
لم تزل فيها بقايا حية

يا شباب العرب ماذا تنتظر؟
فابدلوا من أجلها أعلى الثمر
واتركوا الباغي عليها ينحدر
تبعث الأشفاق في صم الحجر»⁽¹⁾.

يبدو أن الشاعر في قصيدته هذه يضع مآسي وأحزان في قلبه على فلسطين التي شاء القدر أن تندثر تحت أقدام الذل والمهانة، ويتألم ويتحسر على ما كانت عليه وكيف صارت الآن تحت أيدي اليهود والصهاينة التي دمرت وخربت وشردت أهلها بجميع الطرق.

فالألم الكبير الذي يشعر به الشاعر اتجاه فلسطين جعله يقوم بدعوة العرب أجمعين وخاصة فئة الشباب، دعوة إلى الإقبال نحو هذه الأرض المقدسة العظيمة والتصدي لهذا الغزو المشين الذي أطاح برمز العروبة، رغبة في استرجاع فلسطين حرة أبيه، تغدو كزهرة مفتحة من جديد.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص 49، 50.

الفصل الثاني مظاهر الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث

وتتكرر دائما في شعر بلقاسم خمار تلك الصورة الواضحة عن الحزن والجراح والآلام الذي يعتري فؤاده، فنجدده واضحا في قصيدته (إلى روح الشيخ الغسيري).

« أكره ما أكون أن أتب بالدموع

وأن أكون داعيا للحزن

والولوع ..

لكني بكيت

في مرارة المفجوع

بكيت ..!

بالخيبة البكاء . والخشوع!

لشمعة تذوب

رغم قلة الشموع ..

لجملة ناقصة في سطرنا المفزوع

تفقد حرفا ساخنا ..

بدونما .. رجوع ..

للبؤساء من ضحايا الضاد»⁽¹⁾.

يبين في قصيدته هذه أنه يكره أن يكتب بالدموع ولكن شعوره بالحزن والألم وحبه للشيخ الغسيري تركه يغوص في بكائه وخيبته، مفجوعا لفراقه.

وقد شبهه بالشمعة وأية شمعة! شمعة مفتوحة سريعة الذوبان لا مثيل لها ينتفع بها ولهذا كان حزنه أعمق مما أن يتركه داخله دون أن يعبر عنه بكامل عواطفه وأحاسيسه.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص133.

الفصل الثاني مظاهر الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث

اتصف الشاعر السائحي بوجدانيته وعاطفته الفياضة، أن طغت عليه مشاعر الحب والعشق ولكن هذا ما سبب له الألم والحزن في قلبه وهذا ما نلاحظه في قصيدته "وداعا" التي يقول فيها:

« كيف مزقت فؤادي؟ كيف حطمت ضلوعي؟

لا تبالي بسهادي لا تبالي بدموعي

أيها القاسي الحبيب

أنت في هذا الصدود لم تنزل أول حبي

وستبقى كالوجود ملء غي، ملء قلبي

أيها القاسي الحبيب

يوم ألقاك تراني مثل ما كنت وفيه

هكذا الله يراني في وقائي عريية

أيها القاسي الحبيب»⁽¹⁾.

لقد عبر الشاعر كلماته على شدة حزنه وألمه بنغمة حزينة وهذا ناجم عن حبه وعشقه الشديدان، وقسوة محبوبته، ولكنه رغم ذلك احتفاظه بهذا الحب في أعماقه، إن إحساس الشاعر المرهف قد جسده في قصيدته ونشعر بها من خلال كلماته الحادة العميقة التي مزقت وجدانه، وذلك أن جفاء عشيقته جعله رقيق الأحاسيس عميق الأليم والحزن.

وهذا ما أثر على نفسيته التي انفجرت منها عبارات اليأس وفقدان الأصل وتوديع حبه الذي ينبض في أعماقه بكل حزن وألم.

إن الإحساس بالألم والحزن شعور يصاحب كل إنسان ولكن وجوده عند شاعر ولاسيما رومانسي فقد يؤثر فيه أكثر من الإنسان العادي وشعوره هذا يصحبه باليأس والكآبة ولا يجد في ذلك مفرا سوى التعبير بالكلمات لعلها تخفف عن آلامه وأحزانه، وهذا ما لاحظناه عند الشاعران

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 159.

أبو قاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي في كثير من المواضيع، فمنها في الحب ومنها في الوطن ومواضيع أخرى متعددة.

ولذلك لقد عبرا الشاعران عن شعورهما بالألم والحزن بعبارات صارخة حادة صادقة للتقليل من حجم ذلك الوهن الذي شد على أكتافهم.

المبحث الثاني: العاطفة والحب

إن الغذاء الأساسي للرومانسية هو العاطفة فهو القلب النابض لها، الذي يحافظ على قوام الرومانسية، فالعاطفة ثمرة القلب والإبداع الرومانسي فهو يرفض العقل وينادي إلى تلك العواطف الجياشة، فالرومانسيون يعتمدون على « العاطفة والشعور وهم يسلمون قيادهم إلى القلب لأنه منبع الإلهام، والهادي الذي لا يخطئ إذ هو موطن الشعور ومكان الضمير عندهم قوة من قوى النفس قائمة بذاتها وهو غريزة خلقية تميز الخير من الشر عن طريق الإحساس والذوق»⁽¹⁾.
تعبّر العاطفة عن تلك النفس الغارقة في وجدانها وبها يمتلك المرء قدرة عن التمييز بين الخير والشر.

أما عن الحب يعتبر من أبرز السمات التي تتميز بها الرومانسية، فموضوعها الأول هو الحب، فالحب هو مجموعة متنوعة من المشاعر الإيجابية والحالات العاطفية والعقلية قوية التأثير.
أو بالأحرى هو التعبير عن صدق المشاعر إزاء شخص معين، لذلك نجد الرومانسية تشجع إلى البوح بمشاعرهم « فالحب هو حالة من التآلف بين روح وروح التقيا في غربة الوجود»⁽²⁾.
من خلال ذلك نرى أن الحب وهو عبارة عن مشاعر عاطفية بين طرفين يعبر عن نفس طاهرة ليس له حدود ولا مثل له.

والواضح في ذلك أن نجد الشاعران محمد بلقاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي قد انغمروا قلبهم بنبع العواطف والحب وهذا هو أساس والقوام الذي ينهض ويشبع حواس الشاعر الرومانسي، وهذا ما وجدناه في قصائد الشاعران التي اتسمت بمواضيع الحب والعواطف.

(1) - محمد غنمي هلال: الأدب المقارن، شركة نهضة، مصر، القاهرة، ط3، 2003، ص34.

(2) - مسعد بن عيد العطوي: الشعر الوجداني في المملكة السعودية، الرياض، ط2، 1420، ص53.

نجد الكثير من الأشعار المتنوعة والمتعددة في شعر محمد الأخضر السائحي التي شكلت أبرز المحاور في ديوانه، حيث تظل التجربة الوجدانية فالشعر منبذقة من الوجود الإنساني التي يعبر بها الشاعر عن تجربته من خلال انفعاله وإحساسه فالسائحي من الشعراء المجددين، الذين عبروا عن تجربتهم الوجدانية وبث عواطفه وها هو ذا الحال مع قصيدة عيد ميلادها التي عبر فيها السائحي عن أجمل أيام العمر التي يقول فيها:

أي عيد عيد ميلادك	يا فجر حياتي
هددت قلبي ذكراه	بجلو النغمات
وسرت ومضا حبيبا	ساطعا في ظلماتي
همست في مسمعي	أعذب أنغام الحياة ⁽¹⁾ .

هذه الأبيات من روائع الشعر العربي، وقد عرض فيها الشاعر على أفكار جاءت بالترتيب التالي: ذكريات عيد ميلاد، مدى شوقه إليها ... وقد جاءت ترتيب الأفكار على الوجه منطقيا متسلسلا حيث يعرض الشاعر تذكّر عيد الميلاد ثم ينتقل ليعرض ويعبر عن مدى هذا اليوم لأنه لن ينساه لأنه يعبر عن أجمل أيام العمر، فعبّر الشاعر عن كل ما في صدره والمعاني سهلة وواضحة.

يواصل شاعرنا وصف مدى شوقه في أبيات أخرى فيقول:

كيف يمضي عمري لو لم	تهلي في وجودي
كيف يعيش دربي	كيف تغتر ورودي؟
وفؤادي كيف يصحو	بعد أن طال هجودي
كان كالصخرة تنداج	فتمضي في جمود ⁽²⁾ .

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 47.

(2) - المصدر نفسه، ص نفسها.

يبين الشاعر في هذه الأبيات مدى تعلقه بالمحبة فهو في حيرة من أمره، فهي بالنسبة له تمثل له الحياة ونور دربه فبدونها لا طعم للحياة، فالشاعر من خلال هذا نجد أنه مخلص في الحب من خلال بث عواطفه وما يجول في نفسه من مشاعر فياضة نابضة من صميم قلبه ووجدانه.

ونلمح من خلال دراستنا للأعمال الشعرية الكاملة لمحمد بلقاسم خمار أن اهتمامه بموضوع الحب من المواضيع الأساسية التي تشغل الشاعر الرومانسي، فالحب هو ذلك الشعور النبيل والإحساس المرهف الجميل الذي لا قيمة للحياة من دونه، فهو شعور شامل بلا حدود وكما يقول الشاعر في قصيدته "الحب"

مزروعة كالنور في الإنسان	« الحب في كل النفوس سحينة
مجهولة من سالف الأزمان	لكن طعوم ثمارها بين السورى
يدعي بحب العابد المتواني	والحب أكثر منه تفاهة ذاك الذي
مشلولة كالوهم كالأوثان	يمسي به المرء المتيم كتلة
ويسير والأيام كالسكران» ⁽¹⁾ .	تنتابه الأحلام في عرض الضحى

يذكر الشاعر في هذا المقطع أن الشعور بالحب مزروع في كل قلب وفي كل وجدان وأن نوره ساطع كالشمس، ولكن الذين يسيرون في طريق الحب مصيرهم مجهول لأن هذا الشعور قد يوصلهم إلى طريقين مختلفين إما السعادة وإما الحزن، فهو كالجرمة، من يقع في شبك الحب لا سبيل له من الهروب سوف يقع بين قضبان مشاعره.

وإن وصول هذا الحب إلى أقصى درجاته فسوف يوصل المرء إلى أقصى أوهامه وآماله، يصبح هائما ككومة من القش تلعب بها الرياح ويتمايل بين الضفة والأخرى.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد بلقاسم خمار (ج1)، ص52.

الفصل الثاني مظاهر الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث

ونجد أن الشاعر الرومانسي لما يقع في شباك الحب يكون مخلصا لمحبوته وإن جفت وطال بعدها فمكانتها في قلبه لا تتغير ولو تغير الزمن ولذلك فقد عبر الشاعر هنا عن حبه وهيامه بمحبوبته في قصيدة عنونها بـ "رسالة الأولى"

« إليك يا حبيبي

إليك يا حقيقة

كشعرك الجميل

حقيقة جميل

كأنه أشعة الأصيل

إلى عيونك التي أسميتها البحيرة

عيونك الخضراء .. يا حبيبي

وكل شيء فيك

يثير ألغ غيرة

حبيبي إليك

أبعثها حقيقة .. مريرة

عبارة تضمها رسالة صغيرة

عبارة أهملتها

وخافقي فراشة طليقة

تهيم في حديقة

تحفها الزهور والظلال والجداول

أهملتها وخافقي يعانق الجمال

الفصل الثاني مظاهر الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث

يداعب الشعاع والخيال»⁽¹⁾.

يعيش الشاعر حالة من الحب ولكنه اكتنز هذا الحب في وجدانه فأبى على النوح عنه، ولكنه سرعان من انفجر عقب هذا العشق وفاح في الأنحاء فوجدنا الشاعر هنا قد عبر عن فحوى هذه العاطفة من صميم وجدانه فأغدى يتغزل بها ويصور جمالها بكلمات رقيقة يصف فيها شعرها وعيونها وسحرها، يبدو أن الشاعر يكن في قلبه حبًا كبيرًا حيث جنح بخياله وعشقه إلى أسمى النفحات.

وقد أبدع محمد الأخضر السائحي في تصوير اختلاجات النفس ولوعة الحب، حيث كان للشوق الحظ الأوفر في الشعر حيث كانت كل قصيدة لا بد أن تحتوي على مشاعر الشوق للمحبوبة وهذا ما نجده في قصيدة "نصف لفظ" التي يقول فيها:

« منذ عام يا حبيبي أو يزيد

منذ قابلتك في اليوم السعيد

وأنا أرقب في شوق جديد

نصف لفظ لم تقله يا حبيبي»⁽²⁾.

استهل الشاعر أبياته بوصف شدة الشوق، فمن كثرة حبه لها، جاءت الأبيات تعبيرًا عن كل خلجات النفس، فهو يتربص بمجيء هذا اليوم ليعبر عن مدى شوقه للقائها، فهو بانتظارها يتربص مفتاح الوصول للقائه فمجرد رؤيتها تحيا روحه من جديد.

ويواصل الشاعر قوله في وصف شدة الشوق والحب:

« نصف لفظ إنه جد يسير

ليس نصف اللفظ بالأمر العسير

كيف تخفيه بأعماق الضمير

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص23.

⁽²⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص55.

وهو في عينيك بادٍ يا حبيبتى»⁽¹⁾.

من خلال هذه الأبيات يبين الشاعر أن اللفظة التي تريد سماعها أنها سهلة، وأنها ليست بالأمر الضيق لدرجة أصبحت مهووسة، فهي تنتظر سماع تلك اللفظة وتريد البوح، وعدم إخفاءها لأنه بادٍ في عينيه.

وقد يصل الشاعر الرومانسي بحبه إلى أن يضحي بنفسه وبما يملك من أجل من يحب، فيكون ذلك العاشق الهائم في غرام عشيقته كما يبين في قوله:

« لحسنتك أسلمت قلبي وحي

فإن شئت أسلمت روحي إليك

وكوني جحيما يؤجج قربي

سأرمي بنفسي لتحرق فيك

بعينيك أسرار عمري أراها

تهدد أعماقها خاطري

أحاول أن أستنشق رؤاها

فأسرح في جفنتك الساحر

بريك ماذا تقول العيون

إذ أومأت بالرموش الكحيلية

أسر غريب؟ .. ؟ أمحض فتون

(1) -محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص55.

ترى ..؟ أحيا بريء؟ أحيله؟»⁽¹⁾.

لقد أغدق الشاعر في رومانسيته في هذه الأبيات إلى أبعد الحدود فلقد جعل من عشيقته الحياة والهواء والماء اللذان لا يستطيع أي إنسان العيش بدونهم، لقد تملك قلب الشاعر حبًا كبيرًا اتجّاه هذه المرأة التي فتنته، فهو يرى فيها عمره، فلقد سكنت أعماق قلبه فهو يعشقها إلى حد الذوبان، فهو يجد فيها ذلك الأمل والسعادة والشعور بالقوة، فالإحساس الذي يشعر به الشاعر اتجّاه هذه الفتاة هو تأثير الحب ولا غيره فهو شعور لا يمكن للمرء مقاومته.

ومثله أيضا محمد الأخضر السائحي قد عبر عن لوعة هذا الحب ومدى الشوق في قصيدة "يا منى" التي يقول فيها:

« أنت يا معنى حياتي
أنا لولاك لما رفت
ولما افترت شفاهي
ولما اخضوضر عودي»⁽²⁾.

بين الشاعر في هذه الأبيات عن مدى تعلقه بحبيبته فهي بالنسبة له تمثل الحياة وما فيها وبدونها لا معنى لحبه ووجوده.

ويواصل الشاعر مدحه ووصفه لحبه وعشقه لحبيبته وعن مدى شوقه للقائها ورؤيتها إذ يقول:

« بح صوتي قبل أن ألقاك
كدت أن أفقد صبري
يا معنى حياتي
كدت أن أكره ذاتي
وتلاشت نغماتي»⁽³⁾.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص75.

(2) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص63.

(3) - المصدر نفسه، ص نفسها.

يبين الشاعر في هذه الأبيات عن نداء نفس فاضت بها الشوق والبعد لدرجة أنه فقد صبره وكره ذاته، فالشاعر يعترف بأنها لها الفضل لأنها تمثل الحياة بالنسبة له، فهو مفتون بها.

حيث عبر شاعرنا عن انفعال صادق وعاطفة جياشة بحبه لمحبوته إذ يواصل قوله:

« أنت تسيحة قلبي أنت ترنيمة روحي
يا عزاء لفؤادي يا ضمادا لجروحي
فيك أحبت ضلالي فيك أحبت جموحي »⁽¹⁾.

ويعبر هنا عن فيض من المشاعر التي تسري في جسده عاشها الشاعر ففاضت على لسانه تلك الأبيات، فقد عرض الشاعر أسمى بُعدها وحزنه على فراقها.

لا يقف الإحساس بالحب والعاطفة بين المرأة والرجل فقط، بل يتخطى هذا الحد ولاسيما حب الأم بل وأكثر من ذلك فحب الأم لا يضاهيه حبا في الكون، وفي هذا فقد تغنى الشاعر بأمه في قصيدة "إلى أمي"

« أماه ... قومي، هذه أشعاري هتفت .. محملة إليك شعاري
لو كان غير الله يعبد في الورى لعبدت أمي بعد ذكر الباربي
ماذا نصادق في الحياة لو أنها كانت بدونك، هل سيخطر سار؟
هل تصدح الورقاء بين فراخها هل ترقص الغزلان للأقمار
هل يرتع الحمل الوديع وأمه ويزفرك العصفور في الأشجار؟
الكون منك بداية، ونهاية والدهر أنت بفلكه الدّوار
في الأرض أنت سفينة، ربانها هذا الخليط، بزحفة الجرّار
أنت التي حفظ الوجود نشيدها بل أنت .. أنت لبابه الأعمار

⁽¹⁾ -محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص63.

لولاك ما نبضت بقلب خفقة للحب، للنسمات، للأنوار»⁽¹⁾.

يعد حب وعشق الأم لا مثيل له في الحياة بأكملها، ولقد أكد الشاعر هذا الأمر، وقد رفع حب ومكانة أمه إلى مرتبة العبادة وأن هذه المكانة لا يصل إليها بشر، فلقد صور وجود الأم كالنفس الذي يتنفسه، فالأم هي الحياة هي السعادة هي الحنان، وغياها كظلام ساد في الأرجاء، فلا جمال ولا متعة في هذه الحياة بدونها إن حب الأم هو الحب الحقيقي الذي لا زيف ولا أوهام وأحلام ولا كذب، فهو أشد الروابط العاطفية قدسية، فهذا الحب هو يدفع الإنسان للعيش بسعادة، لأن الأم تمنح ذلك الإحساس بالأمان والحنان والحب دون مقابل.

مثلما تغنى أبو قاسم خمار بأمه فقد تغنى محمد الأخضر السائحي أيضا بوالده في قصيدة "أبي" التي مدح فيها أبوه بقوة وتعتبر أحد النماذج التي فجرت مشاعره والتي يقول فيها:

«أبي - يا وقاك الله - شر النوائب

لأنت أحق - الناس بالمدح يا أبي

تعهدتني طفلا وما زلت عاكفا

على العطف ترعاني وترعى مطالبي

إذا اعترضتني في طريقي نوائب

تعرضت تحميني شرور النوائب»⁽²⁾.

من خلال جو القصيدة يخاطب الشاعر والده، ويمدحه بقوة فيبين الشاعر فضله ويبرز مدى عطفه وحبه لوالده، فالوالد يعتبر السند والقوة له، حيث له أهمية كبيرة في الحياة خاصة الحياة العائلية.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص75.

(2) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص76.

فمن خلال الأبيات يبين الشاعر إخلاصه ووفائه لأبيه، وتحمل الجملة الاعتراضية الداعية – يا وقاك الله – معنى كريما يتضمن الوفاء والمدح ويواصل الشاعر مدحه إلى درجة متفاوتة في وصف محاسن أبيه إذ يقول:

« فكم ليلة قضيتها لم تذق كرى

ولم تطبق الأجنان جم المتاعب

تعاني هموما قاتلات ... وبيتني

خيالك لي مجدا رفيع المراتب

إذا نابني حزن حزن لأجله

وقارعت حتى ينجلي من مصائب

ومازلت حتى إذ كبرت وطوحت

بي الريح والأقدار في كل جانب»⁽¹⁾.

يعبر الشاعر في أبياته عن مدى تضحيات ومساعدات والده من أجل إسعاده وزرع البسمة في وجهه، فالوالد لم ييخل عليه بشيء وكان على الشاعر رد الجميل إزاء تذكير محاسن أبيه.

⁽¹⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 77.

المبحث الثالث: الذاتية

إن الشعر الرومانسي الجزائري يغرق في طابع الذاتية التي سيطرت على الإبداعيون لكونهم يحتفون بالنفس الإنسانية، ويمجدون الذات ويرفعونها لمرتبة عالية، فالذات تعتمد على الإحساس الباطني المرهف للنفس الرومانسية بمعنى أنها « تعبير عن الشخصية، وتأكيد للوجود الذاتي، إن لم تكن بمثابة كشف فيه يقف الكائن الحر الفاعل على حقيقة ذاته الباطنة »⁽¹⁾، فتكشف الذاتية بدورها عن الحقيقة الباطنية للأديب من خلال تعبيره عن دواخله النفسية وعواطفهم وهذا ما أدى الرومانسيين « يقبلون على أنفسهم يرسمون أشواقها ومشاعرها وتطلعاتها ... جعل الأنا يشكل محورا قائم الذات في إنتاجهم، بل لعله أهم المحاور الواردة فيه »⁽²⁾.

إن هذه الرومانسية الموجودة في قلب الأديب تجعله منكبا على ذاته ونفسه ومشكلا محورا قائما بذاته في إنتاج إبداعات مشعة.

ونجد أن « توجيه الشعراء إلى الشعر الذاتي الوجداني، فقد أخذ الشعر الجزائري في هذه الفترة يتجه اتجاهها واضحا إلى التعبير عن المشاعر الفردية وظهرت فيه انعكاسات التجربة الذاتية »⁽³⁾.

ويعني بهذا أن الشعر الذاتي أو التجربة الذاتية قد سطعت على سماء الشعر الجزائري، وهذا ما قد ظهر جليا في قصائد بعض الشعراء في العصر الحديث.

إن ذوبان الشاعر الرومانسي في وجدانه يجعله بالضرورة بتصوير حالاته النفسية التي تنبع من خلجات نفسه وهمسات عواطفه وهذا ما نجده كمرآة عاكسة للشاعر الرومانسي.

(1) - إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة (ج2)، دار المعرفة الجامعية، دبلد، دط، 2009، ص36.

(2) - فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث، ص122.

(3) - يوسف ناوري: الشعر الحديث في المغرب العربي، ص207.

ونلاحظه أيضا في قصائد محمد السائحي في مجالات عدة وتذكر منها قصيدة "لعينيك" التي يعبر فيها عن ذاته وأحاسيسها والتي يقول فيها:

وما أهمل يا فتنتي من جفوني	« لعينيك ما شبّ في أضلعي
إذا حان في الليل وقت السكون	وما صنع السهد في مضجعي
ورقت ضحية تلك العيون	دنوت بجبك من مصرعي
أبت أن تحول يصنع الخضاب	على شفثيك بقايا دمي
تكاد تسيل وراء النقاب	وفي وجنتيك ولم تعلمي
فهل راق عينيك هذا العذاب؟	ولم ترحميني ولم تندمي
حنانيكما بعض هذي السهام	فقولي لعينيك إن همنا
لنطق كفاه قضى بابتسام	وللشفثين إذا رفتنا
تنام وحولك هذا الغرم؟ ⁽¹⁾ .	وقولي لقلبك حتى متى

فقد سعى الشاعر للانغماس في كيانه والتعبير عنها وذلك نابع عن حبه وإحساسه المرهف، ونلاحظ من خلال هذه الأبيات صورة الشاعر وصدقه في تعبيره عما يختلج أعماقه جراء حبه.

حيث صور ورسم ذاته العاشقة الحزينة وما تعابنه من أرق وراء عشق لا أمل فيه، عشق كان ينادي فيه إلى محبوبته لتبادلته نفس الشعور، عشق قد مله الانتظار وراء عينين قد أغرقته في دوامة إحساس عميق.

فهذه الأبيات تبين لنا مدى إغراق الشاعر في ذاتية العميقة والتي سببها العشق والهيام مما فجر ذلك عبارات فاقت ذلك الإحساس الذي يشعر به الشاعر جراء هذا العشق الذي أشعره بالألم في أعماقه الدافئة لابد من أن يتجه الشاعر الرومانسي في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه من أعماق وجدانه وذاته وخاصة فيما يتعلق بالحب والعاطفة وهذا ما ترقيه في قصيدة "أين أنت؟"

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 161.

« نسيت يا حبيبي
كيف بدأت قصتي
وكيف ذابت مهجتي
من لهفتي ... من حسرتي
من شوقها إليك »

« لما دخلت غرفتي
لم أر يا ساحرتي
كيف تراءت حيرتي
تطل من نافذتي
تبحث عن عينيك

مشاغلي .. مصائبي
وكل ما يحيط بي
صورة أمي وأبي
على جداري المتعب
تسألني .. عليك «⁽¹⁾.

يتبين في هذا المقطع أن الشاعر يعبر عن ذاته العاطفية وحبه الشامخ بلوعة وحنين، وذلك أن روحه تعج بالاشتياق إلى حد الوجع.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص53.

فهو يحترق شوقاً لحبيبته لذلك انفجر من وجدانه تلك الأحاسيس التي أشعلت نيران الشوق والعاطفة، فراح يصور حالته النفسية تصويراً يهز العواطف، حيث ترجم وجدانه بتعبير صادق مزج بين إحساسه بالحب والشوق والألم.

فالذات هي مصدر الإحساس والوجود وبذلك لم يجد الشاعر مفراً بتلك الأحاسيس التي تملكته سوى التعبير عنها بكلمات لعلها تؤنس شوقه وتقلل معاناته وآلامه التي يشعر بها.

وفي نفس الموضوع وسط إنفجار العواطف النفسية الذاتية يعبر الشاعر عن فرحته ولهفته لعشقه لمحبوته مسمياً إيّاها "منى" في قصيدة بعنوان "وجدتها" التي يقول فيها:

من ملأت أفقي بالسنا	وفاضت جمالا على ناظري
ومست جفاني ... فعاد الربيع	لقلبي ... وعدت إلى غابري
فدنياي أي سنى ساطع!	وكوني أي شذى عاطر!
كأني أنشودة حلوة	ترف على شفتي شاعر
وأغنية من أغاني الربيع	تهم على مرجة الناظر
يداعبها كفراشاته	نسيم كهفهفة الطائر
من كنت أحيا بها، كنت أغفو	وأصحو على همسها الساحر
تنام بجفني على مضجعي	وتستيقظ الصبح في ناظري ⁽¹⁾ .

ويتبين من خلال هذا المقطع الفرحة الكبير والسورور واللهفة والحب العميق الذي شعر به الشاعر عند رؤيته لمحبوته الذي أدخل على قلبه همسات وأحاسيس صورها في أجمل صورة وكأنه عند رؤيته لمحبوته قد أشرقت الشمس قد أشرق الضياء في حياته لأول مرة وفاضت جمالا، وأزهر الربيع وانتشر عطرها، فأحس في نفسه وكأنه طائر في جو فسيح، فسمّا بذلك بعواطفه إلى أبعد الحدود، فقد ترم عشقه في ذاته كفراشات فرحة بقدم الربيع عند رؤيته لمحبوته.

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 33.

فإن تلك المشاعر الدافئة العميقة في ذات الشاعر جعلته فنانا مزخرفا لأبياته بألوان الحياة.

إن الذات هي سلاح المشاعر وينبوع متدفق لا يمكن الاستغناء عنه، وما أجمل في ذلك قلب ينبع بالحب كوردة تنشر عبيرها وسط ميدان رحيب، وهذا ما فعله الخمارا في قصيدته "الطيف" حيث عبر عن فوح أعماقه بعطر هامس ساحر بقوله:

هل كنت لا أهوى سوى عينيك	« صغيرتي إن يسألوك عني
يطير من مكانه إليك	أو كان قلبي كلما خطرت
وليس لي لديك من شريك	قولي لهم مازال عند عهدي
لقال لي - مبتهجا - لبيك	ولو طلبت منه مقلتيه

* * *

بأنني أحببت قبل حبك	صغيرتي لو حدثوك يوما
فراشة، أو وردة لغيرك	وأنني أهديت من رياضي
إليك يا صغيرتي .. لطيفك	قولي لهم، قال وهبت روحي
تمايلت أغصانه من نبعك» ⁽¹⁾ .	كل الذي زرعت من شعري

وتعبر هذه الأبيات عن خلجات وجدان الشاعر وحبه العميق لحبيبته ويذكر فيها مدى تعلقه بها بإحساس صادق ويصور لنا مدى حبه وهيامه بها فهو يرى فيها حياته ونبضه، وأنه سيضحى من أجلها بأغلى ما يملك، فقد وضعها في مكانة شامخة من وجدانه، فجعلها كوردة في بستان قلب ليست ككل الوردات.

إذن فالشاعر بين هذه المقاطع يضعنا داخل موجات وجدانه وذاته ليصور لنا تجربته الرومانسية، عبر تدفق تلك الأحاسيس والمشاعر العميقة التي تغنى بها، ورسم لنا طريقه نحو هذا الحب الذي يعيشه وسيبقى مغروسا في أعماقه مدى الحياة.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص93.

يبدو أن الشاعر محمد الأخضر السائحي، من تعمق ذاتيته وتأملات نفسه سارت به أن ألف قصيدة بعنوان "أنا" التي عبر فيها عن شعوره المتأزم والكئيب والتي يقول فيها:

فأرغ كالليل مظلم	« أنا لا شيء ... وجود
في نشيد لم ينقـم	أنا لفظ دون معنى
وكلام لم ينظـم	أنا فكر لم يحـدد
ووقوفي على طريق الحياة	كان وهما تطلعي وانتظاري
جسمته في حيرتي نظـراتي	كنت في الليل لا أرى غير وهم
ضائع اللحن والصدى والشكاة	كنت كالطائر السجين يغني
في التقسيم نصفه	أنا شيء نسي الحاسب
ضائع يرقب حتفه	فهو في الأرض غريب
لا أعرف وصفه	أنا شيء حائر كالوهم

فحياتي التي مضت لم تكن إلا قشورا رميتها في الظلام
ضحكاتي وأدمعي كلها خرساء مسلوبة من الأنعام»⁽¹⁾.

نلاحظ في هذا المقطع وكأن الشاعر، يصور فيها عذاب نفسه وآلام روحه فيصف حالته النفسية في نوع من الكآبة والحزن وسط جو يسوده الظلام والبؤس، وكأن حياته لا يملؤها إلا الحزن. فقد حلق الشاعر بنفسه إلى أبعد الحدود مبرزا تلك المعاناة والحسرة التي يشعر بها والتي تسري في عروقه وأعماقه، وهذا ما جعله يرسم نوعا من الأنغام العميقة التي ترجم فيها وجدانه الذي يتألم وسكب فيها كل أحاسيسه ومشاعره التي تكشف عن رهاقة حسه وانكساره بعبارات صارخة تتبع من الأعماق.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص 87.

يبدو أن الأخضر السائحي في هذا المقطع بين تلك الصرخات والآهات التي عمرت وجدانه من آلام وآخرون.

لقد تغنى الشاعر الرومانسي بوطنه فألهمت في نفسه وذاته أجمل المشاعر في قصيدة "حبيبي يا بلادي"

« هم يسألوني عنها	لأنني من ذويها
ماذا تراها وماذا	تقول عنها وفيها...؟
فقلت لا تسألوني	بل ارجعوني إليها
قلبي يراها وعيني	«فينوس» من خادميها
ما يخلق الله حسنا	إلا وفاقه تيهها
السحر في مقلتيها	والشهد من شفتيها
وشعرها رعشات	ظمأى على كتفيها
بهاؤها فيض سحر	طغى على معجبيها
لو أي شيء رآها	لها منها إليها
لا تسألوني وهاتوا	إذا وجدتم شبيها» ⁽¹⁾ .

نلاحظ أن الشاعر قد صور وطنه بأحسن صورة فجعلها كروضة ليس لها مثيل، فقد أطلق عنان ذاته ووجدانه للتعبير عن ما يحسه اتجاه وطنه بمشاعر صادقة وأحاسيس متدفقة، فأخذ يصف جمالها وسحرها بأرقى العبارات وأسمى الصفات، وكان هذا انعكاس لما يشعر به في ذاته من حب وعاطفة تجاه وطنه وأرضه، فعبر عنها كامرأة، وأجمل ما رأت عيناه في حياته بأكملها، فأغدى بذلك يصف ملامحها وسحرها الأخذ بما أوتي بمشاعر وأحاسيس نابغة من ذات رومانسية متدفقة بكل معاني الحب والعاطفة تعد الذات الثمرة الأولى للشاعر الرومانسي فبذاته ووجدانه تتدفق كل المشاعر

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص50.

والأحاسيس الصادقة الصافية وهذا ما وجدناه عند كلا الشاعرين فكلاهما اعتمد على الذات وجعل منها السلاح الذي يتكؤون عليه في التعبير، سواء كان في مجال الحب أو الألم أو الغربة أو الطبيعة وغيرها، فالذات تعتبر العنصر أو الغذاء الذي لا يستطيع أي شاعر رومانسي الاستغناء عنه.

المبحث الرابع: الطبيعة

تعد الطبيعة الشمعة المضيئة الملهمة للأحاسيس والأفكار والخيال وآلام الحاضنة التي لا درك قيمتها إلا من كان له حاسة شعرية مرهفة راقية، فالطبيعة تعبر عن ذلك التواصل الوجداني مع العاطفة، « وكانت الطبيعة سبيلهم إلى هذا التحرر، فهي سبيل العصر ... أما الرومانتيكيون فقد وقفوا أنفسهم على استيحاء منطق هذه الطبيعة في السلوك وعامة القيم والمعتقدات »⁽¹⁾.

وهنا نجد الطبيعة كانت سبيل الشعراء في التحرر من القيود وهذا ما انعكس على الشعراء والأدباء في سلوكهم وقيمهم وعاداتهم.

فالطبيعة عنصر فعال في التأثير على الفرد من خلال نفسيته، فهي الملاذ الوحيد والأنيس للشاعر الرومانسي الجزائري التي جعلت منه ذلك الشخص المرهف المحب للحياة وروعيتها.

فالطبيعة تعد أحد السمات في الشعر الجزائري، حيث لجأ إليها الكثير من الشعراء لأنها تعبر عن ما في نفسه فهي تعد بؤرة الشعراء لبث شكواهم وأحزانهم، فالطبيعة تعد الصديق الأنيس لوحدهم وآلامهم وأحزانهم.

أعجب الرومانسيون بالطبيعة فتنغوا بها، وذلك أنهم وجدوا فيها الأم الحنون التي تخفف عنهم آعباء الحياة، ويرون انعكاس مشاعرهم فيها لذلك لجأ أبو قاسم خمارا في قصائده إلى التغني بها وبجمالها ورونقها ونجد هذا مثلا في قصيدة "مع الطبيعة" التي يقول فيها:

مغمورة الأثواب في ليل مطير	« مالي أراك مليكة الحسن النضير
مخنوقة الأنفاس كالأمل العسير	وأراك من تحت الضباب كتيبة
لا الزهر يرسل من خمائلك العبير	لا الطير يمدح في سمائك شاديا

(1) - حلومي مرزوق: الرومانتيكية والواقعية في الأدب، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1983، ص38.

لا الغصن يرقص لا النسائم تنثني
 لا النهر بالألوان في لطف يسير
 أبجافل الأحزان هـلا خيمت
 منك السحائب فوق ساحات القبور
 يكيفك بؤس أني منذ الصبا
 أحيا بلا أمن مع الحزن الميرير
 هزي صبابك عن فضائي وأغربي
 ودعي شموسي تبعث الدفء المنير
 لا تفصليني عن سمائي أنني
 كالنسر أنزل كل لحظة ... وأطير»⁽¹⁾.

يبدو الشاعر في هذا المقطع يحاور الطبيعة بأسلوب ينعكس على ما يشعر به من ألم وحنين وذلك من خلال عباراته (ليل مطير، الضباب، كئيب، سحائب)، ولا بد من أن هذه العبارات هي انفعالات عن ما يعتره في نفسه وذاته فهو يرى ذلك الحزن الذي يمتلكه وكأن الطبيعة حزينة أيضا، لا مرح ولا سرور ولا طيور ترح وتزقزق بل ضباب وبؤس وسحب أظلمت الأجواء فلذلك نجد الطبيعة لمرآة عاكسة لمشاعر الشاعر فهي تشاركه كل أحاسيسه سواء أكانت سعيدة وفرحة أو حزينة متألمة.

وتعتبر الطبيعة ملجأ لبث شكواهم، فحظيت بأوفى نصيب لأنها كانت ملهمة بالشعراء بما تحتويه من جمال ساحر تبهر عيونهم من خلال مشاهد مختلفة ومناظر متنوعة من خلال الوصف وهذا ما نجده في قصيدة "مرحبا بالربيع" التي يقول فيها:

« هاته كالربيع في ألوانه
 كل شيء محبب في ألوانه
 موسم الشعر قد أظلك فاهتف
 مرحبا بالربيع في ريعانه
 مسح الكون مقلتيه ... وعادت
 نظرات الصبا إلى أجفانه
 وأفقت من نومها هضبات
 مسها موسم الهوى بينائه
 ومشى بالسرور في كل شيء
 في وهاد الحمى، وفي كئيبانه

في الرياض العناء، في الزهر الضاحك فيها، في السهل، في وديانه

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص60.

في الطيور الغرابُ تصدح في أغصانها، في الفراش، في طيرانه»⁽¹⁾.

تعبّر هذه الأبيات عن فصل الربيع وتغني الشاعر به، فالشاعر مفتون بسحر جمال الطبيعة الخلابة خاصة في فصل الربيع مما حرك وجدانه ومشاعره وراح يصف لنا الربيع لأنه يجد فيه راحة نفسية عندما يتوجه إلى الطبيعة فالطبيعة الهادئة تساعده على بعث أحاسيسه من خلال بث شعره، كل هذه الأبيات صور رائعة للربيع مما يحيط به من أزهار مما عبر عن أحاسيسه المرفهة وروعة مما احتواه.

فالربيع فصل الحياة والبهجة والمناظر الحسنة التي تملئ القلب سرورا وابتهاجا.

ويستمر الشاعر في الاستعانة بالطبيعة وهذا ما نراه في قصيدة (الطيّار الجزائري) التي يقول فيها:

« وميداني أني عزمي السماء

فلا النسر لا الصقر يشبه ما

أقوم به جائلا حائما

ولا الشمس تعرف ظلي

ولا الليل يوقضي قائما

ولا البحر يدرك هولي

ولا الأرض تمسك لي قدما»⁽²⁾.

من خلال هذه الأبيات نجد الشاعر يذكر صور الطبيعة ليقارن قوتها بقوة الطيار الجزائري، وكأنه يتعدى مدى قوة هذه الطبيعة مهما كانت صفتها مثلا النسر والصقر بقوة سرعتها الرهيبية على جميع الطيور الأخرى ولكن الشاعر يستهزأ بسرعتها، ونرى الشمس العليلة المحرقة بقوة سطوتها

(1) - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص 43.

(2) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 50.

وشعاعها ولكنها لا تعتبر عائقا أمام الطيار، وهنا يقدم الشاعر صورة عن تلك الطبيعة القوية مقابل قوة الطيار.

وتعتبر الطبيعة الملاذ الواسع لحالاتهم الشعورية واللاشعورية، التي صورت لهم لوحات فاتنة وهذا النص نموذج لوصف الطبيعة ففي قصيدة الصحراء التي يقول فيها:

كتب أنتِ؟ أم سنا وضياء؟
ورمال؟ أم فتنة وراء؟
وسكون مخيم ووجوم؟
أم غناء مرجع وحداء؟
وبساط ممهد من حرير؟
أم هضاب على الثرى شماء؟
لست أدري أنت أرض دحاك الله أم أنت يا رمال سماء؟
الجمال البديع والسحر والروعة
والطهر والسنا والصفاء
ها هنا بدت في رمال
وهضاب ماجت بها البيداء⁽¹⁾.

موضوع هذه الأبيات هو وصف بعض مظاهر الصحراء، وقد اشتملت على عدة تساؤلات حول البيئة الصحراوية، فهو مفتون بجمالها من خلال الكتب الرمال، السكون، الهضاب، فهذه الأبيات عبارة عن لوحة فنية عبر بها الشاعر عن تجربة حية مر بها وقد اقتصر في وصفه لظواهر الفتنة والجمال فأبياته كلها صورة صادقة لتجربة مفعمة بالإعجاب وتقدير الجمال وصدق التعبير ويواصل الشاعر وصف مظاهر الطبيعة، فهي بيئة غنية بمشاهداتها فاتنة بطبيعتها من جمال ساحر تبهر العيون وتأسر قلوبهم من خلال إحساسهم واضطراب مشاعرهم فيفيض وجدانهم فيعبر عنها من خلال تجربته الإنسانية.

وتعتبر أيضا الطبيعة رمز للقوة والجهاد والعزم، فيعتمدها الشاعر كحافز أو كسلاح للتعبير عن هذه الصفات وهذا ما قدمه الشاعر في قصيدته التي يقول فيها:

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 43.

« نحن الشباب
زهر الربى
غيث السحاب
يا مرجبا
في السهل في الصحراء في الساحل قمنا في الجبل
إرادة، وقوة، ووحدة، يا نشئ قل
أهدافنا مع الزمن
إلى المفاخر
شعارنا: يحيا الوطن
تحيا الجزائر»⁽¹⁾.

وتوضح هذه الأبيات أن الشاعر قد استعمل الطبيعة كحافز يبين تلك القوة والعزيمة التي يمتلكها شباب الجزائر وأن هذا الشعب مهما تغيرت عليه الأماكن أو الأجواء سيظل صامدا مفتخرا بنفسه وبصموده.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص46، 47.

المبحث الخامس: الغربة

يوظف الشاعر الرومانسي في أشعاره، مظهر فعال من مظاهر الوجدانية ألا وهي الغربة فهي خاصة من خصائص الرومانسية، فالغربة تعتبر عبارة عن عزلة تامة بعيدا عن الأهل أو الأحبة أو الوطن، فهي تشكل إما الفراق أو الانفصال أو الابتعاد نتيجة الظروف القاسية التي عاشها سواء أكانت سياسيا أو إجتماعيا أو ثقافيا.

« فالغربة عن الأرض هي ابتعاد الإنسان قسرا عن وطنه الأم، فاضطره القهر أن يعيش بعيدا عنه ويشعر بمرارة الغربة عن الأرض »⁽¹⁾.

نجد أن الغربة تشكل مفهوم الابتعاد عن الوطن، فالإنسان الذي يتوجه إلى الغربة يجد نفسه غريب، إنسان تائه يعتقد في كيانه أن الغربة عبارة عن مأوى يخرج به همومه وأحزانه وهذا العكس فالإنسان الذي يذهب إلى الغربة يتمنى العودة إلى وطنه فيطغى عليه طابع الألم والحزن بتلك المرارة التي عاشها في غربته.

وهذا ما نلاحظه عند الشاعر الرومانسي في قصائده عندما يلوب في غربته وكأنه غريق، وبهذا عبر عن ألم غربته بألم عميق.

لا بد هنا أن الشعور بالغربة إحساس يفوق حجم الوجدان، فشعور البعد عن الوطن والأهل يولد الانكسار والألم والحسرة، فلا يجد في حياته سوى الحزن والشوق.

وقد تملك الشعور بالغربة أبو قاسم خمار وهذا لأنه كان يعيش أزمة المكوث خارج وطنه، وبعيدا عن أهله وأحبائه، وقد اتضح هذا في العديد من قصائده وكان هذا سببا في إحساسه بالشوق والحنين والحزن، ويقول الشاعر في قصيدته "الغريب".

(1) - أحمد محمود جواد مغنية: الغربة في شعر محمود درويش، دار الفراي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص19.

ورمى الصبر بعيدا .. وبكى	« هذه الشوق فناجى واشتكى
سلوة .. مهما إليها سلك	لم تعد تلهيه عن أشجانـه
بل يلاقي صفوها مرتبكا	نسمة الأفجار لا تنعشه
ويرى منه الأسى قد سبك	وجمال الورد لا يدركه
يحسب اللحن نواحا حيك	ونشيد الطير إذ يسمعه
فهو لا يبصر إلا ضنكا	ليست عيناه منظار الدجى
لوعة الغربة حتى هلك	مر عامان، وفي أعماقه
أخذت من عمره ما ملك	لوعة نحو معاينة التي
هيمن الشوق بقلبي وذكي	ايه يا أشجان .. رحماك إذا
هم لتحناني وحي شركا	إن لي في كل أرض صحبة
صور الغربة حولي شبكا» ⁽¹⁾ .	كلما أذكر ألفا نصبت

يتضح من خلال هذا المقطع أن الشعور بالغربة التهم وجدان الشاعر، فأصبح في دوامة من الشوق والحنين دوامة لا خروج منها فقد جعله بعده عن وطنه وأهله وأصحابه لا يشعر بشيء ولا يستمتع بالحياة، لا يجد في نفسه سوى الاكتئاب واليأس، فكل ما حوله جميلا يراه بلا معنى، فشوقه وحنينه جعلها له ضبابية على عينيه لا يرى بهما سوى الظلام والأسى.

فرغم كثرة الأصدقاء في غربته لكنه يرى أنه غريب بينهم لأنهم ليسوا من أبناء وطنه.

فغربته هذه قد ولدت في نفسه ووجدانه حنيناً وشوقاً وألماً لا يقاس بالزمن إلا فرق عنده بين يوم أو عام فحجم الغربة والاشتياق يفوق فكرة الزمن وهذا ما يفقده لذة الحياة والاستمتاع بها، فحجم شعوره بالغربة هو حجم الآلام والأوجاع التي تملك وجدانه وأعماقه.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص38.

إن الشاعر مرهف الإحساس حاد الشعور يتألم من واقعه المرير فلا يمتلك خياراً لألمه هذا سوى التعبير عنه فيقول:

« وخرجت أمشي ...
الشمس ساطعة تنير
والناس لاهثة تسير
والطير في فرق تطير
كل يدب .. وكلهم فرح قرير
لكني في الدرب وحدي ..
وحدي .. أفتش ما أفتش ..؟ »
* * *

« وحدي أسير
بخطاي ألتهم الطريق
وبخاطري شيء فقدته
فكأني صبُّ غريق ..
يمشي ويسأل عن حبيبة
كانت برقته قريبة
وأضاعها بين الزحام .. »⁽¹⁾.

يتبين من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يصور لنا تلك اللحظات التي كان يشعر بها وسط ظلمات غربته، تلك اللحظات التي كان يسير فيها هائماً بين الشوارع هائماً وكأنه داخل عالم غريب، يسير وحده في درب لا يعرف مخرجه إلى أين.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص87.

إن الإحساس بالغربة جعل من الشاعر يشعر بوحدة قاهرة رغم أنه محيط بكثير من الأشخاص، لكنه هائما مضطرب الأفكار وكأنه طفل قد ضيع لعبته المفضلة فأغدى يبحث عنها، إن اشتياقه وبعده عن وطنه والوحدة التي يشعر بها جعلته مخنوقا كالغريق بين أمواج لا متناهية.

إن ذات الشاعر المليئة بالرومانسية والحب تجعله يشعر بألم الغربة واليأس والحرمان أكثر من أي شخص آخر، لذلك تجد نفسه هائمة معلقة بين جدران غربته ساطعة لا يجد لها منفذا سوى الشوق الحنين متمنيا استنشاق هواء وطنه وأرضه ولقاء أحبته وأهله.

إن أكثر ما يؤلم الشاعر ويزرع في قلبه الحزن والحنين هي الغربة وخاصة البعد عن الأهل فيقول أبو قاسم في قصيدة بعنوان "إلى يولا"

« سنوات ستة يا أُخِيَّة
مرت كزوبعة مبلدة عليّ
وغبارها لم يزل
كالشوك ينخر جانيّ
وشقيقتي زهراء
صلوات ضارعة يذبذبا العراء
صوت بواد، أتتْ عبر الفضاء
قد كنت أدعوها، ويحلو لي النداء
زهراء ...
واليوم .. والأقدار .. عنيدة
فلعلها ذهبت على شوق شهيدة
يشير إلى السماء وأبي إذ نادى

ويصيح ... يا عفراء»⁽¹⁾.

إن الشاعر يعبر عن آلامه وآهاته التي يشعر بها في غربته وخاصة اتجاه أهله فهو يحس بشعلة الاشتياق والحنين إلى أن يكون بين عائلته، فهو يحاكي أخته في غربته التي لم يجد فيها وى الألم والحزن واليأس اللذان مزقا وجدانه وسط زخات من حنين وشوق وعواطف، فيعبر عنها بلهفة وحسرة ويسرد ذكرياته قد طال عليها الزمان وسط مزيج من الألم.

ويقول أيضا في قصيدة بعنوان "صيحة غريب"

« ماذا جنيت بمهجتي وحياتي	حتى منيت بفرهة وشتاتي
وغدوت رهن كآبتي متألما	متأجج الحسرات والعبرات
منفردا في التيه، في نار الأسي	أتلو على دنيا الضنى أناتي
أيثور في أرض الجزائر نائرا	وأنا هنا كصخر كالأموات
أيقوم في أرض الجزائر ناقم	كالليث يزأر، موعد النبرات
ويعيش في قمم الجبال أحبتي	بين الجذى، ومخالب الآفات
أيموت أهلي تحت سطوة ظالم	وأعيش في سلم على علاتي
أيصبح بين المؤمنين مجاهد	يدعو إلى حرיתי ونجاتي
فأجيبه في الشرق مرتعش الخطا	كالشيخ في الركعات والسجدات
أتي على روح النضال واثني	متيمما في مشيتي عتماتي
فعلام ينعم بالشهادة إخوتي	وعلام تمضي في الحنين حياتي
وإذا تحررت البلاد وجنتها	ماذا أقول لصابغي الرايات؟» ⁽²⁾ .

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص37.

(2) - المصدر نفسه، ص23.

إن البعد عن الوطن والأرض من أقسى الأمور التي يشعر بها الشاعر الرومانسي، ولاسيما لو كانت هذه الأرض معتصبة من طرف عدو، أرض تعاني من القهر والحرب والعذاب، وهذا ما ظهر بين أبيات الشاعر، ذلك الإحساس العميق الذي يشتعل لهيها بالحزن والألم على فراق أرضه المعتصبة فهو يصرخ من أعماقه على أرضه ويشعر بالقهر والألم لأنه بعيدا ولا يستطيع أن يفعل شيئا إزاء هذه الحال فهو يشعر بأن لا حياة ولا قيمة له مقابل ما يحدث في الجزائر وذلك أن أبناءها يناضلون ويقاومون ويستشهدون وهو يعيش في سلام لم يحرك ساكنا.

فحجم الألم والأسى الذي يشعر به الشاعر لا يقدر بثمن، فهو ألم يخترق وجدانه ولا سبيل للهروب منه.

الفصل الثالث

الخطاب الفني الوجداني

المبحث الأول: الصورة الشعرية

- 1- التشبيه
- 2- الاستعارة
- 3- الكناية

المبحث الثاني: اللغة الشعرية

- 1- معجم الطبيعة
- 2- المعجم الوجداني
- 3- معجم الحزن

المبحث الثالث: الإيقاع

- 1- الإيقاع الخارجي
- 2- الإيقاع الداخلي

المبحث الأول: الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية من أهم السمات التي يتأسس عليها الخطاب الشعري، حيث يقوم هذا العنصر على عدة جوانب التي تقدم للخطاب الشعري تلك الزخرفة، عن طريق رؤية الصورة وفق أبعاد خارجية، وتعتبر الطريقة التي ينظم بها الشاعر كلماته وارتباطها بالكلمات الأخرى، وهذا ما يجعلها صورة مميزة في ذاتها، وكما يعرفها عبد القادر القط أنها « الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقية والمجاز والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صورته الشعرية»⁽¹⁾.

وبذلك تعتبر الصورة الشعرية هي جوهر الشعر، والوسيلة التي يصل بها الشاعر إلى ذروة إبداعه الشعري، مستخدماً وسائل وأفكار التي تعبر عن إحساسه العميق وتجربته الصادقة من خلال تراكيبه وكلماته وألفاظه إنتاج ذلك النسيج الذي شكل نموذجاً فنياً.

وإن للصورة أنواع من بينها التشبيه والاستعارة والكناية.

1- التشبيه:

هي تلك المشابهة أو المماثلة، أو الإشارة إلى شيء له نفس الصفات أو هو « إلحاق أمر يأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة»⁽²⁾.

وأيضاً يدل على « اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس، وهو إما تشبيه مفرد كقوله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ مَثَل ما بعثني الله

⁽¹⁾ - عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص 392.

⁽²⁾ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007، ص 143.

به من الهدى والعلم كمثل غيِّث أصاب أرضا»، الحديث حيث شبّه العلم بالغيث ومن ينتفع به بالأرض الطيّبة، ومن لا ينتفع به بالقيعان فهي تشبيهات مجتمعة»⁽¹⁾.

والمعنى من ذلك أن التشبيه هو أن يكون هناك شيان متماثلان وشرط أن يكون لدهما صفة تشترك بينهما.

مثال: "محمد شجاع كالأسد"

وهنا نجد أن محمد والأسد متشابهان وهذا لأن صفة الشجاعة يمتلكها كلاهما.

أ- أركان التشبيه:

للتشبيه أربعة أركان هي:

أ- المشبه

ب- المشبه به

ج- أداة الشبه

د- وجه الشبه

ويجب أن تكون هذه الأركان أو بعضها في عملية التشبيه أو لا يكون هذا تشبيها.

« أما المشبه والمشبه به فهما ركنان أساسيان في قيام التشبيه، ولا يكون التشبيه إذا غاب

أحدهما، وإنما جيء بالمشبه به لإيضاح صفة في المشبه.

وأما أداة التشبيه فحالتها يختلف، إذ يصح حذفها إذا رأت حاسة البليغ أن في حذفها زيادة في

قوة التشبيه وجماله وتأثيره .. »⁽²⁾.

« ووجه الشبه هو المعنى المشترك بين الطرفين »⁽³⁾.

⁽¹⁾ - محمد صديق المنشاوي: معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 2004، ص52.

⁽²⁾ - محمد صديق المنشاوي: معجم التعريفات، ص90

⁽³⁾ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، ص144.

تعتبر هذه الأركان في غاية الأهمية لإنشاء التشبيه، وذلك أن الشاعر يستخدمها لزيادة وضوح معنى كلامه، وأن يضيفي إلى شعره ذلك الشكل الفني الرائع.

ب- أدوات التشبيه:

« أداة التشبيه: هي أية لفظة تشعر بالمشابهة والمماثلة، وتقسم أدوات التشبيه إلى قسمين أصلية وفرعية.

أ- أدوات أصلية: هي الكاف، كأن، ومثل وشبه.

ب- أدوات فرعية: وهي كل لفظ يؤدي معنى المشابهة مثل شابه، ضارع، مائل، حاكى، يضاف إليها أفعال القلوب مثل حسب، ظن، حال، ومن أمثلة ذلك قول امرئ القيس:

خيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل⁽¹⁾.

تعتبر هذه الأدوات من الوسائل المهمة التي تقوم عليها المشابهة ويمكن الاستفتاء عنها في حالة ما إذا كان التشبيه بليغا فلا يحتاج لأداة.

ج- أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه والأداة:

تنقسم حالات التشبيه إلى عدة أقسام، فمنها ما يكون التشبيه باعتبار وجه الشبه، وهناك تشبيه باعتبار أداة التشبيه.

1- التشبيه المؤكد:

« وهو مؤكد إذا حذفت منه الأداة، فكأن في حذفها تأكيدا بأنه في هذه الصفة مطابق للمشبه به⁽²⁾».

يكون في هذا التشبيه حذف الأداة أبلغ من التشبيه الذي لم تحذف فيه الأداة.

لقد امتلك محمد بلقاسم خمار حس مرهفا وصادقا في التعبير والتلاعب بالكلمات والألفاظ، ومن بينها التشبيه الذي نلمحه في قصائد بشكل كبير.

⁽¹⁾ - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، ص 144.

⁽²⁾ - محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، سوريا، دمشق، ط1، 2008، ص91.

يقول الشاعر:

« الشعب بركان يدك الراسيات إذا تفجر

الشعب إعصار الوجود إذا تمرد لا يفكر»⁽¹⁾.

نرى أن الأداة في هذين التشبيهين قد حذف، وتقدير قوله وكأن الشعب مثل البركان ومثل الإعصار، ولكنه استغنى عن الأداة، وهذا التشبيه أشد وقعا عن النفس، مما قدمت في نفس صورة ذات قوة وعزم في الشعب، حيث شبه الشاعر الشعب بالبركان ثم شبهه بالإعصار، ويمكن القول أن الشاعر قد عبر بمآذان الوصفان هو حس مشاعره الثائرة والمتهيجة، ولذلك انعكس هذا في قصيدته.

وقال الشاعر أيضا:

« وكأن الحديث في أذنيها همسة الحب أو صدى الألمان»⁽²⁾.

نرى أن الأداة قد حذف وتقدير قوله الحديث في أذنيها كما همسة الحب ولكنه استغنى عن الأداة، وهنا شبه الشاعر حديثها بالهمسات وهو عبارة عن وصف مشاعره.

ويواصل قوله في قصيدة أخرى:

« تتلاقى ضاحكات فوق أشباح الغيوم»⁽³⁾.

نرى أن الأداة حذف وتقدير قوله تتلاقى ضاحكات فوق أشباح الغيوم وقد حذف الأداة ليكون التشبيه مؤكدا ليتأثر في مستمعيه، مما أدى إلى بروز المعنى وتوضيحه.

وكذلك قول الشاعر:

« أنت يا ليل أخو الموت همود وسكون»⁽⁴⁾.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص10.

(2) - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص20.

(3) - المصدر نفسه، ص29.

(4) - المصدر نفسه، ص51.

نرى أن الأداة حذفه والتقدير قوله أنت يا ليل أخو الموت كالممود والسكون وقد قام هذا التشبيه دون أداة لأن الشاعر لم يستخدم أداة الربط بين الطرفين فالمشبه هو الموت والمشبه به هو الهمود.

وكذلك قوله:

« فأنت أخو العاشق المغرم »⁽¹⁾.

لقد حذفه الأداة والتقدير هو فأنت كأخو العاشق المغرم وقد حذفه الأداة ليكون التشبيه مؤكداً وذلك ليتأثر في متلقيه، مما أدى إلى وضوح المعنى.

يقول أيضاً:

« أنا برق .. لا أنا الرعد . لا »⁽²⁾.

نرى أيضاً هنا في هذا التشبيه أن الأداة قد حذفه وهذا ليكون التشبيه مؤكداً وله تأثير على المتلقي، وقد كان في تقدير الشاعر أن يقول أنا كالبرق، أنا كالرعد، وهذا التشبيه كان أكثر انفعالا في النفس، أكثر من توظيف الأداة، ونجد الشاعر هنا قد شبه نفسه مرتين أولاً بقوله أنا برق ثم وضع أداة نفي ثم شبه نفسه بالرعد، وربما كان هذا أشد قوة من التشبيه الأول، وربما يعود هذا التشبيه لبيان قوته التي لا تقهر.

ويقول الشاعر:

« الحب أكثر ما يكون جريمة إذ كان في الشهوات للأبدان »⁽³⁾.

إن هذا التشبيه هو تشبيه مؤكداً وذلك لأنه قام بدون أداة، أي أن الشاعر لم يستخدم الأداة للربط بين الطرفين، فالمشبه هنا هو الحب والمشبه به الجريمة، ولقد كان الاستغناء عن الأداة هو ما زاد

⁽¹⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 109.

⁽²⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 50.

⁽³⁾ - المصدر نفسه، ص 52.

في هذا التشبيه بلاغة وشدة، وما يمكن استنباطه من هذا التمثيل هو أن الشاعر بعواطفه وأحاسيسه العميقة جعل من الحب شيئاً غير محبب ولا قيمة له، وربما يكون هذا ناتج عن تجربة الشاعر وعن رؤيته للحياة وما يحصل فيها.

وقال أيضاً:

« مدينتي، يا عروس الورد، هل حجبت أنظار أهلك عن مغناك أوزار»⁽¹⁾.

نجد هنا أن الشاعر قد شبه مدينته بعروس الورد، مع استغنائها على استعمال أداة التشبيه، وهذا التشبيه مؤكد حيث أنه ينادي مدينته بالعروس، وهذا نابع من تلك المشاعر الصادقة المتدفقة اتجاه مدينته، وربما يكون هذا من شدة حبه لوطنه أو لشدة جمالها وسحرها ورونقها لذلك شبهها بالعروس وليست أية عروس، بل عروس الورد التي لا مثيل لها.

يقول الشاعر:

« أنا للخلق قبلة وصلاة أنا للخلد بهجة وبشائر»⁽²⁾.

ذكرت في هذه الصورة عدة تشبيهات، حيث شبه الشاعر نفسه بالقبلة والصلاة والبهجة والبشائر، وهذا التشبيه مؤكد لأنه حذف فيه أداة التشبيه وتقدير القول هو:

أنا للخلق مثل قبلة وصلاة أنا للخلد مثل بهجة وبشائر

ولكن الشاعر حين حذف الأداة صار التشبيه أكثر حدة وقوة من حضورها ولقد اختار الشاعر مثل هذا التعبير ربما لفخره وعزته لأنه من الجزائر أرض العزة والرجولة والشهامة.

2- التشبيه المرسل:

« فالتشبيه (مرسل) إذا ذكرت فيه الأداة، إشارة إلى أنه بذلك قد ترك وشأنه دون أن يمسه

تغيير»⁽³⁾.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص36.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص38.

⁽³⁾ - محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، ص90.

يقول الشاعر:

« أيها الباعثون من كل صوب
مرعبات كقاصفات الرعود »⁽¹⁾.

نرى الشاعر هنا قد شبه قاصفات الرعود بالأشخاص الذين ينبعثون من كل مكان وذلك أن المشبه هو الشعب (الباعثون) والمشبه به قاصفات الرعود من كل صوب ويقصد به الجنود أما الأداة فهي حاضرة وحرف الكاف، وقد اختار الشاعر لفظة (قاصفات الرعود) ربما لتلك الشجاعة وقوة السرعة وهذا لتأثر الشاعر الشديد بالأوضاع المزرية التي كانت تسود البلاد.
وفي قول الشاعر أيضا:

« لا تفصليني عن سمائي أني كالنسر أنزل لحظة .. وأطير .. »⁽²⁾.

لقد شبه الشاعر نفسه بالنسر مع ذكره للأداة وهي حرف الكاف، والسبب في تشبيهه نفسه بهذا الطير لأنه كثير الحركة والانتقال من مكان لآخر، ولا حدود له في مكان واحد، وذلك لأنه يكن في داخله الشعور بالملل والحزن والوحدة وأنه يمل من المكوث في مكان واحد لذلك تجده يتجول ويغير الأماكن من فترة لأخرى.

ونجد أيضا التشبيهات المماثلة لذلك فنجد مثلا في قول الشاعر:

« ذا هل ينظر كالعالم في الأفق البعيد
وإدع النظرة والبسمة كالطفل الوليد »⁽³⁾.

هنا ظهر التشبيه (والبسمة كالطفل الوليد) حيث شبهه شاعرنا البسمة التي تظهر عندما يضحك الطفل الصغير، فظهرت الأداة (الكاف) بقوة مما بينت المعنى ووضحته ووجه الشبه هو الوليد وهذا ما يسمى بالتشبيه المرسل.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص48.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص60.

⁽³⁾ - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص29

وفي قول الشاعر أيضا:

« أنا أفتى في سهادي وهي تذوي وتذوب
تترامى تحت أمواجك كالبحر الغضوب »⁽¹⁾.

هنا ظهر التشبيه المرسل في (أمواجك كالبحر الغضوب) فظهرت الأداة الكاف مما أوضحت المعنى وظهر المشبه وهي الأمواج أما المشبه به وهو البحر ووجه الشبه هو الغضوب وهو ما يسمى بالتشبيه المرسل مما زاد في المعنى بلاغة وإيضاحا.

ويواصل قوله:

« عيشة الراعي نراها عيشة جد رضية
تشرق الشمس عليها فهي كالشمس نقية »⁽²⁾.

ظهر التشبيه المرسل (فهي كالشمس نقية) حيث شبه الشاعر الأميرة بالشمس النقية التي تشرق، فظهرت الأداة التشبيهية وهي الكاف التي وضحت المعنى.

وقول الشاعر أيضا:

« تندافع الأيام
تركض كالخيول »⁽³⁾.

نجد هنا أن المشبه هو الخيول والمشبه به الأيام أما الأداة هي حرف الكاف، وقد شبه تسارع الأيام بركض الخيول وسرعتها، واختار الشاعر هذا اللفظ ربما ذلك لتأثره بالأحوال التي يمر بها يمكن أن تكون جميلة لذلك يمر عليها الوقت بسرعة البرق.

وفي قول الشاعر أيضا:

⁽¹⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 50.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص 58.

⁽³⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 59.

« وأطير .. كالعصفور فرّ من الشباك إلى الهضاب »⁽¹⁾.

نلاحظ في التشبيه أن الشاعر شبه نفسه بالعصفور في الطيران والفرار، وقد حضرت الأداة وهي حرف الكاف، وقد شبه الشاعر نفسه بالعصفور ذلك لأنه يرى نفسه مخلوقا ضعيفا ثم فر هاربا من السجن من ألم الحياة ومهانتها إلى بلاده التي غاب عنها، فهو لا يجد حياة سعيدة وهو بعيدا عن وطنه، سوى الارتقاء بين أحضانها، هذا ناتج عن تأثر الشاعر بالوضع الذي يمر به في غربته وذلك لإحساسه العميق الصادق.

لقد فاض الشاعر بإحساسه إلى أبعد الحدود حيث أجاد رسم كلماته وألحانه بأشكال فنية مذهشة كما في قوله:

« زرع ردمته الأقدار

عصفور في أقسى قبضة

أطفال مثل الأزهار »⁽²⁾.

حضرت الأداة وهي الأساس هنا في هذا التشبيه وهي "مثل" والمشبه هو الأطفال والمشبه به الأزهار، هنا الشاعر قد شبه الأطفال بالأزهار، وذلك لأن هؤلاء الأطفال مخلوقات بريئة لا تعرف زيفا وكذبا، مخلوقات رقيقة وتحرك بالرياح مثل الزهرة ولها عبيرها الخاص، وربما هذا التعبير خلاصة معاناة أطفال صغار لا يعرفون لويل الحياة شيئا ولا هم متفطنون إليها، وإنهم سوى أطفال صامدة تنتظر متى تدبل ورقاتها وينطفئ عبيرها.

ويقول أيضا:

« سار في الدرب كطيف في الدجى »⁽³⁾.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص7.

(2) - المصدر نفسه، ص126.

(3) - المصدر نفسه، ص30.

نجد الشاعر في هذه الصورة قد شبه سيره في الطريق مثل طيف يسير في الظلام، بمعنى أنه يسير في حياته بلا اتجاه، يسير ولا يعرف سبيله إلى أين، ولقد أخذ الشاعر في تصويره هذا لحالة من الضياع والتشتت، وربما يكون هذا تعبيراً عن الحالة النفسية التي كان يمر بها وهو بعيداً عن موطنه وأرضه، وقد وظف في هذا التشبيه حرف الكاف كأداة.

ويبدو أن الشاعر يصوغ أحاسيسه وعواطفه في قوالب تصور وتفسر هموم حياته وواقع الأمة العربية.

وما زال الشاعر يصور تلك الأحاسيس المتفجرة المليئة بالحزن والتشاؤم كما عبر في قوله هذا:

« أو أنني بالخوف

كالمسجون .. هارب

قد كان في العتمات غائب»⁽¹⁾.

لقد صور نفسه في هذا المقطع ذلك الشعور بالخوف مثل المسجون الهارب من العدالة، بمعنى أن الشاعر قد سيطر على قلبه الإحساس بالاختناق والخوف وربما هذا الإحساس من ذلك الوضع الذي يسود البلاد والوطن وهذا الخوف مثل شعور الذي يحس به ذلك السجين الهارب وخوفه هذا من العدالة أو من حراس السجن.

وقد استعمل الشاعر في هذه الصورة حرف الكاف كأداة لوصول الطرفين، وأحسن الشاعر وضع التشبيه لهذه الصورة، وربما قد تكلم فيها بلسان أمته وعلى الوضع المزري الذي كانوا يعانونه من خوف ومأساة.

وفي قوله أيضاً:

« أبناء يعرب كالنجوم مضيئة وشعاعها يمضي سدا متناثراً»⁽²⁾.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص88.

(2) - المصدر نفسه، ص33.

في هذه الصورة نجد أن المشبه هو النجوم والمشبه أبناء يعرب ويقصد بها سوريا، وقد استعمل أداة التشبيه حرف الكاف، ويبدو أنه في معظم صورته قد أكثر استعمال حرف الكاف كأداة للتشبيه.

وعني الشاعر بتشبيهه هذا، أن أبناء سوريا يشبهون النجوم المضيئة بنورها، ولكن شعاعها وجمالها يتضاءل، وربما يكون هذا من تلك الأحوال والخصومات والمشاحنات التي تحدث فيها، وهذا ما كان سبب في اندثار ذلك البريق من هذه الأرض العربية.

وقول الشاعر أيضا:

« وأنا قلبي عميد

ضل عني من زمان فهو كالطير شريد»⁽¹⁾.

ظهر هنا التشبيه المرسل في (فهو كالطير شريد) حيث شبه الشاعر نفسه بالطير الشريد الذي لا يعرفه طريقه، وبذلك اعتمد على أداة التشبيه حرف الكاف ووجه الشبه بينهما هو (الشروء)، ويقصد بهذا التشبيه أنه ضائع ومبحر في همومه لحد الشروء.

3- التشبيه البليغ:

« والتشبيه (بليغ) بعد ذلك، إذا عمد الشاعر إلى حذفهما معا (أي الأداة ووجه الشبه)، وفي هذه الحال يكون المشبه قد بلغ من السمو منزلة تضاهي المشبه به، فكيف لا يكون التشبيه بليغا.. ويشترط ليكون هذا التشبيه مقبولا أن يكون الشاعر صادقا في قوله معقولا في إعجابه بالمشبه»⁽²⁾.

وعني هذا القول هو ذكر المشبه والمشبه به بعيدا عن الأداة ووجه الشبه، وذلك ما يمكن أن يصل التشبيه إلى دقته وبلاغته.

⁽¹⁾ - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص 59.

⁽²⁾ - محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، ص 92.

كما يقول الشاعر في قصيدته:

« صرت بدرا ونجوما

أغمر الآفاق حبا وانطلاقا، وصلاة»⁽¹⁾.

إن حذف الأداة ووجه الشبه جعلاً التشبيه يبدو بليغاً، حيث شبه الشاعر نفسه بالبدر والنجوم، وقد جسد الشاعر هذه الصورة أي البدر والنجوم لأنه شاعر رومانسي وتغنيه بالطبيعة هو ما يزيد تلك الصورة بهاء وروعة، ويمكن أنه كان يشكل قصيدته تحت روعة القمر ويريق النجوم.

ونلاحظ أيضاً في قوله:

« تجهش بالبكاء

لأصبحت دموعنا طوفان»⁽²⁾.

وقد شبه هنا الشاعر دموعه بالطوفان مع حذفه لأداة ووجه الشبه وهذا يعني أن الشاعر صادق الإحساس قد عبر عن حزنه وآلامه وبؤسه وقد تصل دموعه من شدة هذا الحزن إلى طوفان من شدة البكاء، ويعتبر هذا تشبيهاً بليغاً لأنه جاء في صورة جميلة وذلك عن الأداة ووجه الشبه.
كقول الشاعر:

« غبت أو لم تغب بهذا الوجود أنت أدركت في سر الخلود»⁽³⁾.

حيث برز التشبيه البليغ في (سر الخلود) حيث ظهر المشبه (نشيدا)، ثم ظهر المشبه به (الخلود) مما أدى إلى إيضاح المعنى وبروزه.
كذلك قول الشاعر:

« قد رافعنا كلنا راية العدل هنا»⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص65.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص62.

⁽³⁾ - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص97.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ص142.

حيث ظهر التشبيه البليغ (راية العدل) حيث ظهر المشبه وهي (الراية)، ثم ظهر المشبه به (العدل)، فقد حذفت الأداة ووجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ.

كذلك قوله في قصيدة أخرى:

« أنت يا أرض الجهاد أنت يا أرض الفدا »⁽¹⁾.

ظهر التشبيه البليغ في (أرض الجهاد) حيث ظهر المشبه وهي (الأرض)، ثم ظهر المشبه به (الجهاد) فقد حذفت الأداة ووجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ، مما أدى إلى تقوية المعنى ووضوحه.

ثم ظهر التشبيه مرة أخرى في قوله (أرض الفدا)، حيث ظهر المشبه وهي (الأرض)، ثم ظهر المشبه به وهي (الفدا) حيث حذفت الأداة ووجه الشبه، مما أدى إلى وضوح هذا التشبيه البليغ.

ومن التشبيهات البلاغية أيضا:

« همسة الحب » ص 20.

« صبر العبيد » ص 24.

« رمز مجدي » ص 73.

وفي قول الشاعر أيضا:

« طعامنا، شرابنا .. تراث »⁽²⁾.

هذا التشبيه هو تشبيه بليغ لأنه حذف منه الأداة ووجه الشبه وذكر المشبه وهو الطعام والشراب، والمشبه به التراث، والذي يمكن ملاحظته من هذا هو أن قدم الطعام والشراب ومرور عليهم فترة طويلة جعله يبدو وكأنه تراث، وهنا يضعنا الشاعر أمام صورة غريبة، هل يمكن أن يكون الطعام والشراب كالتراث؟.

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 141.

(2) - المصدر نفسه، ص 97.

يقول الشاعر:

« زحف من الأقدار أمواج ترامى »⁽¹⁾.

لقد شبه الشاعر الأقدار بالأمواج مع استغنائه على الأداة ووجه الشبه، ويبدو أنه تمتلكه الكثير من المآسي ويشعر بالاكْتئاب من المصير الذي يمر به، حيث صور قدره بالأمواج الهائجة لا تعرف لطريقها سبيل، وأنها متغيرة أحيانا هادئة وأحيانا هائجة تدمر من لا يعرفها.

وقال الشاعر في قصيدة له:

« كنت والشعر ثورة »⁽²⁾.

لقد حذف هنا الشاعر كلا من الأداة ووجه الشبه، ولكن التشبيه أصبح بليغا أكثر وذلك أن الشاعر قد شبه نفسه وشعر بالثورة وقد خلق إحساس بالمتعة للمتلقي ومن خلال هذا نرى أن الشاعر يريد أن يوصل رسالة بأن الثورة لا تقام إلا بالسلاح والبواريد والمدافع، بل تقوم حتى بالكلمات والعبارات، وربما هذا هو سلاح كل شاعر، ويعني هذا أن الشعر هو لهيب الثورة وفتيلها فكلمات وعبارات يمكن أن تغير الموازين، ويبقى الشاعر دائما ظلا بكلماته وإحساسه الصادق.

4- التشبيه المفصل:

« والتشبيه (مفصل) إذا كان وجه الشبه مذكورا، كقول أحد الشعراء:

وخيل تحاكي البرق لونا وسرعة وكالصخر إذ تهوي وكالماء إذ يجري »⁽³⁾.

ونجد هذه الصورة بكثرة في قصائد الشاعر من قوله:

« في درب عروبتنا الأخضر

قدر أبت

⁽¹⁾ - محمد الأخضر السائحي، همسات وصرخات، ص 53.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص 37.

⁽³⁾ - محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، ص 91.

مشؤوم ينعق كالبومة»⁽¹⁾.

وجه الشبه في هذه الصورة هو الشؤم، حيث شبه الشاعر القدر بالبومة، والغرض من هذا التشبيه هو أن مصير وقدر هذه الأرض العربية غير العواء والصراخ الذي يجلب الكآبة والحزن والتشاؤم مثل صوت نعيق البومة الذي يشير أيضا إلى التشاؤم والمصير السيئ الذي ينتظره سامع هذا النعيق، وربما هذا التصوير هو نظرة عميقة على تلك الأحداث التي تكبل الشعوب والشاعر من الواقع الذين ينتظروه.

وفي قوله أيضا:

« تبدو بلادي على وسعها كمزهرة رصعتها الورود »⁽²⁾.

وجه الشبه هو الوساعة والشساعة، وذلك أنه شبه بلاده بتلك المزهرة الكبيرة الواسعة التي تملؤها الورود، فالشاعر بهذا التشبيه يرنو إلى تجسيد صورة رائعة جميلة لبلاده، فهو يريد أن ترسو هذه الصورة في نفوس القراء لتصل تلك الرسالة التي يريد الشاعر توصيلها ويحاول أن يؤثر بها على المتلقي. وقد واصل الشاعر في تجسيد تلك الأشكال الفنية التي يريد أن يوصل بها رسالته إلى المتلقي والتأثير عليه، فنجد في قوله:

« خفيفين تنساب خطواتنا على العشب كالطيف إذ يخطر »⁽³⁾.

لقد ظهر التشبيه المفصل (على العشب كالطيف إذ يخطر)، حيث ظهر وجه الشبه (إذ يخطر) والمشبه العشب أما الأداة (الكاف)، ثم المشبه به هو (الطيف)، وهنا نجد شبه الخطوات الخفيفة على العشب كالطيف يمشي على الهواء.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص128.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص121.

⁽³⁾ - محمد الأحضر السائحي، همسات وصرخات، ص35.

وقول الشاعر:

« وأودى بأحزابها الفاتنات فمالت كشمس إلى المغرب »⁽¹⁾.

لقد ظهر التشبيه المفصل (فمالت كشمس إلى المغرب)، حيث ظهر وجه الشبه الفتنة والمشبه (مالت) والأداة (الكاف) ثم المشبه به (الشمس)، ويعني بذلك أنه لاحظها وكأنها شمس قد فتنته.

وقول الشاعر:

« وسرى كالحيال في غسق الليل وفي سمعه تردد نغمه »⁽²⁾.

هنا التشبيه المفصل (وسرى كالحيال في غسق الليل)، حيث ظهر وجه الشبه في غسق الليل والمشبه (سرى) أما الأداة (الكاف) والمشبه به (الحيال).

وقول الشاعر:

« وضاحكة الوجه كالكوكب ثوى السحر في طرفها الأهدب »⁽³⁾.

هنا ظهر التشبيه المفصل (الوجه كالكوكب ثوى السحر)، حيث ظهر وجه الشبه في (ثوى السحر) والمشبه هو (الوجه) أما الأداة فهي (الكاف)، ثم المشبه به (الكوكب).

وقال الشاعر:

« كم من سعيد نال كل قصيدة مرمع الأيام كالسحاب »⁽⁴⁾.

لقد شبه الشاعر هنا الشخص السعيد بأنه مثل السحاب سريع المرور، أي أن وجه الشبه هنا هو فعل المرور، وذلك الشعور بالسعادة سرعان ما ترفعه الأيام معها مثل، مرور السحاب وذلك أنه لا يمكث طويلا حتى تمحيه الرياح، ويقصد بذلك أن أفراحه وسعادته ليست دائمة، وحتى إن رأى يوما سعيدا فهي لا تدوم وسرعان ما يعود إلى حاله أو إلى ألم وحزن.

(1) - محمد الأخضر السائحي، همسات وصرخات، ص 37.

(2) - المصدر نفسه، ص 13.

(3) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 37.

(4) - المصدر نفسه، ص 93.

ويقول أيضا:

« فيض من النور، صوت من مرابعا يزلزل الأرض كالإعصار في صمم »⁽¹⁾.

المشبه هنا هو الصوت والمشبه به هو الإعصار والأداة حرف الكاف واستعمل كلمة زلزال كوجه الشبه بين الصوت والإعصار، وقد وضع هذه الصورة وذلك لصوت دوي الشعب القوي الثائر كالإعصار الذي يزلزل الأرض، والملاحظة التي يمكن الحصول عليها هو أن صرخة الشعب ونداء المجد والبطولة، قد يزلزل الأرض كالإعصار، وقد يكون هذا الصوت هو صوت البواريد والمدافع التي يستعملها الأبطال في الدفاع عن الأرض والوطن.

وفي قول الشاعر أيضا:

« أشباح في لون أصفر

كقشور الموز المشوية »⁽²⁾.

وجه الشبه هنا هو الاصفرار والمشبه هو الأشباح والمشبه به قشور الموز وأداة التشبيه حرف الكاف، والغرض من هذا التشبيه يمكن أن يكون لطبيعة هؤلاء الأشخاص، وهنا أيضا نجد أن هذه الأشباح ليست أشباحا حقيقية بل أشكال هؤلاء الأشخاص تشبه الأشباح، وقد وفق الشاعر في تشبيهه هذا وقد قدم صورة فنية تسمو بالصفات التي يتكلم عنها، أة التي يريد إيصالها إلينا.

5- التشبيه المجمل:

وهو التشبيه الذي لا يذكر فيه وجه الشبه وهو عكس المفصل، الذي يكون فيه وجه الشبه.

ونجد ذلك في قول الشاعر:

« يوجه كلون الشراع

وعينين كالبحر »⁽³⁾.

(1)- الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص63.

(2)- المصدر نفسه، ص17.

(3)- المصدر نفسه، ص64.

نجد الشاعر هنا أنه حذف وجه الشبه، وهذا البيان شدة التشابه بين العينين والبحر وربما يكمن هذا التشابه إنما في اللون أو في الكبر، وهو تشبيه واسع الخيال وقد وظف البحر وهذا دليل على حبه للطبيعة، وربما ركز على البحر متعمداً لأنه يرى البحر ذلك المكان الذي يشعر فيه المرء بالراحة النفسية والاطمئنان.

ويقول الشاعر أيضاً:

« وأشرق كالشمس فوق الروابي »⁽¹⁾.

وهنا نجد الشاعر قد شبه نفسه بالشمس دون أن يذكر وجه الشبه الذي بينه وبين الشمس، وقد ذكر الشاعر عنصر الشمس في قصائده بشكل كبير في قصائده ويدل ذلك على تعلقه بالطبيعة وحبه لها ويحيلنا هذا التشبيه إلى عدة أوجه متعددة وقد تكون في النور أو في الارتفاع والقمة وغيرها، وهذا دليل على إحساس الشاعر بقمة الافتخار والرفعة والوقار.

ويقول أيضاً:

« أثور في أرض الجزائر نائر وأنا هنا كالصخر كالأموات »⁽²⁾.

لقد حذف الشاعر وجه الشبه هنا، حيث شبه نفسه بالصخر ومثل الأموات، وربما ذكر هذان التشبيهان لعدم حراكه أو مشاركته في الجهاد مع إخوته، فهو يتحسر ويصف نفسه بوصفان اللذان لا حياة فيهما ولا شعور، ويتضح أيضاً من خلال هذه الصورة إحساسه الكبير بالحسرة والألم والحزن، وهذا يبين صدق شعور الشاعر الرومانسي وخاصة من ناحية وطنه وأرضه فما بالك بأرض تسودها الحرب والمهانة.

وقال الشاعر أيضاً:

« كلما داس يهودي على أرضنا كاللص .. ضحوكا لبقر »⁽³⁾.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص 169.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص 23.

⁽³⁾ - المصدر نفسه، ص 50.

في هذا التشبيه قد حذف وجه الشبه، حيث شبه الشاعر اليهودي عندما يدخل إلى أرضه يدخل كاللص وكالبقر، ويعني هذا أنه صورهم بهذه الحال لأن دخولهم يكون بالسرقة والنهي والحرق كاللصوص وأنهم همجيون مثل البقر، وقد اختار الشاعر هذا الوصف لأنه الأقرب إلى صفات ذلك اليهودي اللعين، وهذا دليل على البغض والكره الذي يكنه إلى اليهود ووظف كلمات توصل الصورة إلى المتلقي بأسلوب واضح دون الغموض والخفاء.

ويقول أيضا:

« ما الحب إلا أن يكون شهامة وعزيمة من شعلة الإيمان »⁽¹⁾.

وضح الشاعر في هذه الصورة شكلا فنيا جميلا، حيث شبه الحب بالشهامة والعزيمة ولكنه حذف وجه الشبه.

ويوضح الشاعر في هذا البيت أن الحب قبل أن يكون شعورا جميلا يستلطف القلب والوجدان فهو رمز القوة وعزم، وهذا لأن الشاعر صادق في مشاعره اتجاه من يحب، لذلك بين أن الحب له قيمته وأصالته في المجتمع، وقد استخدم الشاعر أيضا لفظة الإيمان هذا لإيمانه القوي والشديد بالحب، وإحساسه العميق الصادق، وقد أعطى قيمة كبيرة للحب عندما ربطه بالإيمان.

وقد مضى الشاعر أبو قاسم خمار في تشكيل الصور وزخرفتها بأجمل الكلمات والألفاظ مثل ما نجد في قوله هذا:

« أناشئ حائر كالوهم لا أعرف وصفه »⁽²⁾.

ظهر التشبيه المجمل (حائر كالوهم)، حيث حذف الشاعر وجه الشبه، حيث حذف الشاعر وجه الشبه، حيث شبه شاعرنا حيرته حيرته بالوهم التي لم يجد لها أي وصف.

حيث ظهر المشبه (حائر) والأداة (الكاف) والمشبه به (الوهم).

⁽¹⁾ -الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص52.

⁽²⁾ - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص45.

ويقول أيضا:

« وحين ترومين بعث الحنان فبتدئين البكا كالأغاني »⁽¹⁾.

ظهر التشبيه المجمل (البكا كالأغاني)، حيث حذف الشاعر وجه الشبه، حيث شبه بكاء محبوبه بالأغاني التي تطريه ويدل ذلك على مدى تعلقه بمحبوبته.

ويقول أيضا:

« يوم ألقاك تراني مثل ما كنت وفيه »⁽²⁾.

ظهر التشبيه المجمل في (تراني مثل ما كنت وفيه) ، حيث حذف الشاعر وجه الشبه، حيث شبه نفسه مثلما كان وفيه حين يلقاها وهذا دليل على أن الشاعر واثق من نفسه فهو لم يتغير ولم يطرأ عليه أي تغيير.

ويواصل قوله في قصيدة أخرى التي يقول فيها:

« يداعبها كفراشاته نسيم كهفهفة الطائر »⁽³⁾.

ظهر التشبيه المجمل في يداعبها كفراشاته، حيث حذف وجه الشبه وظهر المشبه (يداعبها) والأداة (الكاف) والمشبه به (الفراشات).

وكذلك ظهر التشبيه المجمل في (نسيم كهفهفة الطائر)، حيث حذف الشاعر وجه الشبه وأبقى لوازمه وهو المشبه (نسيم) والأداة (الكاف) أما المشبه به (هفهفة الطائر).

ويقول الشاعر:

« وورد بساتين أرضي كخحك »⁽⁴⁾.

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 68.

(2) - المصدر نفسه، ص 159.

(3) - المصدر نفسه، ص 33.

(4) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 53.

لقد شبه الشاعر في الصورة ورد البساتين بخدود فتاة، وقد حذف وجه الشبه هنا، ولكن نستنتج من خلال المشبه والمشبه به أن يكون وجه الشبه هي اللون الأحمر أو الزهري في ورد البستان كخدود الفتاة، ويعني بذلك أن الشاعر يتغزل بها ويذكر جمالها وسحرها، ويمكن أن يكون قد كان يكتب هذه القصيدة وهو وسط بستان مليء بالورود الجميلة الرائعة الساحرة، وهذا نتيجة لتعلق الشاعر لطبيعة ومناظرها الخلابه التي تسحره وتكون الملهمة لمشاعره وعواطفه.

ويقول أيضا:

« في الروض المفضل المزهـر
شبح كاللعنة كالوصمة »⁽¹⁾.

نجد أيضا في هذا التشبيه قد حذف الشاعر وجه الشبه والغرض من ذلك هو بيان مقدار الحال الذي يقدمه المشبه ألا وهو الشبح، وقد شبهه الشاعر باللعنة والوصمة أي أنه وظف تشبيهان، والحال التي يوضحها المشبه وهو (الشبح) هو الخوف والفرع، الشؤم وغيرها يمكن أن تكون وجه الشبه لهذه الصورة، وقد استعمل الشاعر مرة أخرى عنصر الطبيعة كما في البيت السابق، وربما هنا لا يقصد به شيئا جميلا ساحرا بل يقصد أن هناك شيء مخيف مشؤوم قد طغى أو نزل على مكان جميل قد خربه فصار منظره موحشا

وقال أيضا:

« أطفال مثل الأزهار »⁽²⁾.

وقد حذف الشاعر وجه الشبه في هذه الصورة أيضا وأبقى على المشبه وهو الأطفال والمشبه به الأزهار واستعمل مثل كأداة للتشبيه، ونجد هنا أن المشبه يحيلنا إلى وجه الشبه الذي قد حذفه الشاعر ويمكن أن يكون في الجمال أو في الرقة أو في النعومة والبراءة، وأيضا هنا قد استعمل عنصر

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص128.

(2) - المصدر نفسه، ص126.

الطبيعة الساحر الجذاب الذي شبهه بالأطفال، فالشاعر يسعى إلى تجسيد صورة جميلة جذابة باستعمال الطبيعة لأنها العنصر الذي يقرب للقارئ تصور الشاعر ويجعله يتأثر بها.

2- الاستعارة:

« هو استعمال اللفظ في غير موضع له علاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.

والاستعارة ليست لا تشبيها مختصرا، لكنها أبلغ منه، كقولك «رأيت أسدا في المدرسة»، فأصل هذه الاستعارة: «رأيت رجلا شجاعا كالأسد في المدرسة»، فحذفت المشبه "رجلا" والأداة "الكاف" ووجه الشبه "الشجاعة" ⁽¹⁾.

- أقسام الاستعارة:

وتنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى قسمان:

أ- الاستعارة التصريحية:

وهي تلك التي « ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط، فاستعارة تصريحية أو مصرحة» ⁽²⁾.

ونجد هذا النوع من الاستعارة في قصائد محمد الأخضر السائحي ومحمد بلقاسم خمار.

مثل قول الشاعر:

« صورة أُمِّي وأبي

على جداري المتعب

تسألني .. عليك» ⁽³⁾.

⁽¹⁾ - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2005، ص244.

⁽²⁾ - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص246.

⁽³⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص53.

نجد الشاعر في هذه الاستعارة قد حذف المشبه وهو الشاعر ذاته وترك لازمة من لوازمه وهي التعب، ويقصد بها الحزن العميق الذي يمتلك الشاعر وخاصة على والدية وأيضاً الاشتياق لهما. ونجد نماذج أخرى من الاستعارات التصريحية في ديوان محمد الأخضر السائحي بنسبة قليلة وهذا يعني أن الشاعر لم يعتمد على الاستعارة التصريحية بكثرة ومن أمثلة ذلك.

قول الشاعر:

« الزهر يبسم فيه ملء ثغوره »⁽¹⁾.

حذف الشاعر المشبه (الإنسان) وصرح بالمشبه به (يبسم) وترك قرينة تدل على ذلك (ملء ثغوره) على سبيل الاستعارة التصريحية. كذلك جاءت الاستعارة في قوله:

« في الرياض الغناء في الزهر الضاحك »⁽²⁾.

حذف الشاعر المشبه (الإنسان) وصرح بالمشبه به وهو (الضاحك) على سبيل الاستعارة التصريحية.

قول الشاعر:

« فحياتي التي مضت لم تكن إلا قشورا رميتها في الظلام »⁽³⁾.

حذف الشاعر المشبه (البرتقال) وصرح بالمشبه به (القشور) والقرينة رميتها في الظلام على سبيل الاستعارة التصريحية.

كذلك قوله في قصيدة أخرى:

« واستمر الحديث كذبا لذيذاً »⁽⁴⁾.

(1) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 125.

(2) - المصدر نفسه، ص 43.

(3) - المصدر نفسه، ص 45.

(4) - المصدر نفسه، ص 20.

حذف الشاعر المشبه (الماء) وصرح بالمشبه به (عذبا لذيذا) على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقول الشاعر أيضا:

« قلبي يراها وعيني «فينوس» من خادميها »⁽¹⁾.

وفي هذه الصورة حذف المشبه وهو الإنسان وترك لازمة من لوازمه وهي الرؤية، لأن الرؤية تخص الإنسان والحيوان ولا تخص القلب ويبين في هذه الصورة الحب الكبير الذي يكنه إلى بلاده وعشقه لها وتعلقه بها.

وقال أيضا:

« لا تلمني إذا رفعتك والدمع بعيني يحرق الجفن حرقا »⁽²⁾.

إن الدمع لا يحرق وإنما النار وهنا نجد أن الشاعر قد حذف المشبه وهو "النار" وترك لازمة من لوازمه وهي "الحرق"، وقد وصف هذا الوصف من شدة البكاء وانهمار الدموع أحرقت العين وهذه الدموع ناتجة عن شدة الحزن والألم الذي انغمر في قلب الشاعر.

وقد واصل الشاعر تصويره في قوله:

« وربيعك مرتعشا فيك »⁽³⁾.

في هذه الصورة قد شبه الإنسان بالربيع حيث حذف المشبه وهو "الإنسان" وترك لازمة من لوازمه وهي "الارتعاش"، ربما يكون هذا سبب هذا التشبيه هو شدة الأزمات التي تحذف في الحياة تحول كل شيء إلى شيء حي ويتأثر بهذه المآسي ويشعر بالخوف إلى حد الارتعاش.

لم تكن القصائد غنية بالاستعارة التصريحية لقد طغت الاستعارة المكنية في الكثير من القصائد.

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص50.

(2) - المصدر نفسه، ص73.

(3) - المصدر نفسه، ص184.

ب- الاستعارة المكنية:

هي الاستعارة التي « ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشار إليه بذكر لازمة المسمى «تخيلاً»⁽¹⁾ .

ونجد في قصيدة الشاعر خمار يقول:

« رقص النجم على ضوء القمر »⁽²⁾ .

قد حذف الشاعر في هذه الصورة المشبه به وهو الإنسان وهي استعارة مكنية، حيث شبه الإنسان بالنجم، وترك لازمة تدل على المشبه به المحذوف وهو الرقص، ويدل هذا المعنى أن الفرحة والسرور الذي يحل في العالم قد وصل حتى إلى النجوم والقمر، وقد استعمل الشاعر في هذا مصطلح الطبيعة لأنها العنصر الملهم الذي يعتمد عليه الشاعر الرومنسي. ويقول أيضاً:

« والشمس ذابلة وأحلام الطبيعة في خمود »⁽³⁾ .

وهي استعارتان مكنيتان، حيث في الاستعارة الأولى قد حذف المشبه به وهو الوردية وترك لازمة من لوازمها وهي الذبول حيث شبه الشمس بالوردية الذابلة وفي الاستعارة الثانية حذف المشبه به الإنسان وترك لازمة من لوازمه الأحلام، حيث شبه الطبيعة بالإنسان الذي أحلامه خامدة أي لا تتحقق، ويبدو أن شاعر في هذا البيت يغمره الحزن والكآبة حيث وظف عنصر الطبيعة بشكل حزين وكئيب.

وقال الشاعر:

« يداعب الشعاع والخيال »⁽⁴⁾ .

(1) - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 246.

(2) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 29.

(3) - المصدر نفسه، ص 19.

(4) - المصدر نفسه، ص 23.

وهي استعارة مكنية حذف منها المشبه به وهو الطفل الصغير وترك لازمة من لوازمه المداعبة، وذلك أنه شبه الشعاع والخيال بالطفل الصغير وهو تصوير بالغ الدقة والوضوح، ويعني أن الشاعر قد صور هذا البيت وهو يخلق بخياله إلى أبعد الحدود.

وقول الشاعر السائحي:

« ومشى السهل غارقا في الحديد »⁽¹⁾.

ذكر المشبه وحذف المشبه به البحر وأبقى شيئا من لوازمه وهي الغرق على سبيل الاستعارة المكنية.

كذلك قول الشاعر:

« وجدتك يا فرحتي .. لن أضيع لن يعصف الحزن في أضلعي »⁽²⁾.

ظهرت الاستعارة (لن يعصف الحزن في أضلعي)، حيث حذف الشاعر المشبه به (الريح) وأبقى لازمة من لوازمه وهي (العصف) وهي على سبيل الاستعارة المكنية.

وقول الشاعر أيضا:

« تهوم كالطيف رفاةً وتسبح في الفجر .. في حاضري »⁽³⁾.

ظهرت الاستعارة في (تسبح في الفجر) حذف الشاعر المشبه به (البحر) وأبقى على لازمة من لوازمه وهي (السباحة) على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله أيضا:

« ومشى بالسرور في كل شيء »⁽⁴⁾.

(1) - محمد الأخصر السائحي: همسات وصرخات، ص 17.

(2) - المصدر نفسه، ص 36.

(3) - المصدر نفسه، ص 33.

(4) - المصدر نفسه، ص 43.

حيث حذف شاعرنا المشبه به وهي الأرجل وأبقى لازمة من لوازمه وهي المشي على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد تغلب الكثير من هذه الاستعارات في ديوان محمد الأخضر السائحي ومنها:

« قد سقينا صخوره وتراه بدم لم نزل نواصل سكبته » ص 16.

« زرعناه ألف عام إباءاً وشموخاً » ص 16.

« غارقاً في الضحايا » ص 18.

« يسمع الظلام أنينا » ص 19.

« نمسح الظلم عنها » ص 24.

وقال أيضا الشاعر أبو قاسم خمار:

« كيف بدأت قصتي

وكيف ذابت مهجتي ».

أراد الشاعر تشبيه الشمعة بالمهجة، حيث حذف المشبه به وهو "الشمعة" وترك لازمة من لوازمها وهي "الدوبان"، وقد عبر الشاعر في هذه الصورة عن مدى حزنه وألمه ومن شدة هذه الأحزان وصل قلبه وروحه إلى قمة ومرحلة الدوبان.

ويوجد الكثير من الاستعارات المكنية في قصائد أبو قاسم خمار ومنها:

« أنا يا دنياي لولا أنني غارق في الشوق قلبي ما شكا » ص 38.

« وتركته يرنو .. وتسأل مقتاه » ص 37.

« الحرب تلتهم الشعوب شراهة وتفتى في جسم الضعيف العاري » ص 75.

« ولا البحر يمسك لي قدما » ص 50.

« والشمس تذيب الأصداء » ص 57.

« وعينيك قد حطمتني شظايا » ص 75.

« أنادي الصخر والأطود حتى تردد صيحتي في كل وادي » ص 21.

« فتصرخ الدماء في جبيني » ص 70.

« فاطلعي يا شمس تلمسك الأثار مني ومن تراني جدودي » ص 73.

« إلى أن رمتنا الليالي شظايا تنف » ص 12.

« ويقتل الوقت بلا عناء » ص 159.

« كانت تناديك ريح البحار » ص 150.

« غريب يطارده همه إلى حيث لا أب لا أمه » ص 47.

ونلاحظ هذا النوع من الاستعارة في ديوان همسات وصرخات لمحمد الأخضر السائحي وهي

كالاتي:

« ليدوبا في عناق ومناجاة » ص 30.

« مست شفتيه نسمة الفجر » ص 31.

« دغدغت إصبعها الأغصان » ص 31.

« تسبح فيه النجوم » ص 34.

« سكب الفجر » ص 41.

« نعشق الفجر » ص 93.

« يا زارع النور » ص 93.

« يصفق في الثورة » ص 94.

« يسير على الورد » ص 94.

« غارقا في السرور » ص 67.

« نحصد الغلال عليها » ص 83.

« أجرى الدماء » ص 85.

« ضحك الزهر للجداول » ص 89.

- « أرقصتها ألحانه » ص 89.
- « نضحك مع الفجر » ص 101.
- « يغرقها في الصبا » ص 109.
- « شيب الدهر مازال » ص 118.
- « يسكب النور على الأرض » ص 118.
- « تسير على أهدافها » ص 121.
- « نسيم الفجر » ص 133.
- « يعشق ألوانها الزاهية » ص 135.

3- الكناية:

تطلق على معنيين:

« المعنى المصدرى الذي هو فعل المتكلم، أعني ذكر اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادته معه.

اللفظ المستعمل فيما وضع له، لكن لا يكون مقصودا بالذات، بل لينتقل منه إلى لازمه المقصود لما بينها من العلاقة واللزوم المعرفي»⁽¹⁾.

أقسامها:

تنقسم الكناية من حيث المكنى إلى ثلاثة أقسام:

- 1- كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم، ودمائة الأخلاق إلى غير ذلك.
- ونجد هذا النوع من الكناية في كل من قصائد محمد بلقاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي.

حيث يقول الشاعر:

⁽¹⁾ - أحمد مصطفى المراعي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2007، ص301.

« ويحصد زرع العذاب »⁽¹⁾.

هذه الكناية تدل عن صفة "الحزن"، وذلك أن شدة العذاب تولد الحزن.

ويقول أيضا:

« يوقف عصف الرياح »⁽²⁾.

وهي كناية عن صفة "القوة" فالشاعر هنا يصف شدة القوة بإيقاف عواصف الرياح.

وقال الشاعر أيضا:

« الدم الزكي »⁽³⁾.

وهي كناية قد استعملها الشاعر لصفة "الطهارة".

وقال أيضا:

« المنظر ممتع »⁽⁴⁾.

وهي كناية عن صفة "الجمال".

ويواصل الشاعران في توظيف الكناية فمنها قول الشاعر:

« تذري الدموع »⁽⁵⁾.

وهي كناية عن صفة "الحزن"، حيث نجد الشاعر قد عبر عن حزنه وشده ألمه بهذه العبارات.

وقال الشاعر:

« بدر السماء »⁽⁶⁾.

وهي كناية عن صفة "الجمال".

(1) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص 117.

(2) - المصدر نفسه، ص نفسها.

(3) - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 81.

(4) - المصدر نفسه، ص 82.

(5) - المصدر نفسه، ص 50.

(6) - المصدر نفسه، ص 52.

وقال أيضا:

« الجائعين الشاحبين »⁽¹⁾.

وقد استعملها الشاعر للدلالة على صفة.

ويقول الشاعر:

« سحائبه دائما تمطر »⁽²⁾.

وهي كناية عن شدة "الجود" و"الكرم".

ويقول أيضا:

« أصابته عينان »⁽³⁾.

وهي كناية دلالة عن صفة "الحقد والبغض"

وقال أيضا:

« بنيتم لكم في السماء البروج »⁽⁴⁾.

وهي كناية عن "الجود والكرم".

2- كناية عن موصوف:

« كناية، يطلب بها موصوف، نحو قولك كناية عن الأسد: قتلت ملك الوحوش وشرطها

الإختصاص بالمكنى عنه ليحصل الانتقال منها إليه »⁽⁵⁾.

ونجدها في بعض القصائد مثل قول الشاعر:

« تذكرت أطياف وجهك »⁽⁶⁾.

(1) - محمد الأخصر السائحي: همسات وصرخات، ص 101.

(2) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 114.

(3) - المصدر نفسه، ص 115.

(4) - المصدر نفسه، ص 11.

(5) - أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، ص 303.

(6) - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 9.

وقد استعملها الشاعر ككناية عن الموصوف وهو "الميت أو الشهيد".
ويقول الشاعر أيضا:

«هزها وادي الذهب»⁽¹⁾.

وتدل هذه الكناية عن الموصوف وهو "الرمل" الذي يلقبونه بالذهب.
وقال أيضا:

«أسد غضاب نسل الأحرار»⁽²⁾.

وهي كناية عن الموصوف وهم "الشباب" حيث شبه الشباب بالأسد
ويقول الشاعر:

«يا بلاد الأقوياء يا جبين إفريقيا»⁽³⁾.

وهي كناية عن موصوف الجزائر.
ويقول أيضا:

«ودعا المالك الثري فتاها»⁽⁴⁾.

وهي كناية عن موصوف وهم الأغنياء
ويقول أيضا:

«هب من نومه على قدميه شاخصا في الفضاء بين يديه»⁽⁵⁾.

وهي كناية عن موصوف وهو الثائر الذي يهب مثل الريح.
ويقول الشاعر:

⁽¹⁾ -الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص167.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص46.

⁽³⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص141.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ص20.

⁽⁵⁾ - المصدر نفسه، ص13.

« صرت بدرا ونجوماً »⁽¹⁾.

كناية عن موصوف ويقصد بالبدر والنجم هو الشاعر نفسه فهو الموصوف والغرض منه الافتخار.

ويقول أيضاً:

« يا من وهبتك راحتي ومسرتي أنت الحياة وبالحياة جدير »⁽²⁾.

وهي كناية عن الموصوف، إذ يقصد الشاعر بها "حييته" فهو جعل منها الحياة والغرض من ذلك هو ذلك الحب والعشق الكبير.
وقال الشاعر أيضاً:

« أهل ينظر كالعالم في الأفق البعيد »⁽³⁾.

كناية عن موصوف، وهو الشاعر الذي يرسو بخياله إلى أفق البعيد.
وقوله أيضاً:

« في الرياض الغناء »⁽⁴⁾.

كناية عن الموصوف وهو الربيع، حيث أن الزهر الضاحك هو دلالة على الربيع.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص65.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص35.

⁽³⁾ - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص29.

⁽⁴⁾ - المصدر نفسه، ص43.

المبحث الثاني: اللغة الشعرية

تعتبر اللغة الأداة والوسيلة الأساسية للتواصل بين الناس « لأن اللغة لدى الفرد وسيلته للتعبير عن مشاعره وأفكاره، بها يتفاهم مع قومه، وبها يطلع على تجارب الآخرين »⁽¹⁾.
وبهذا نجد أن اللغة هي أساس الحياة وأداة للتعبير عن الحس والشعور، وعندما يرتبط الأمر بالشعر فتكون اللغة هي السلاح الأول للشاعر وبذلك يختار الشاعر لغته حسب طبقة وميله ويستعمل في ذلك تصويراً أو هيكلًا خاصاً به للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر التي تتفجر بداخله.
ويختلف توظيف المعجم اللغوي أو الشعري عند الشاعر حسب نفسيته وقد يكون حزناً أو حياً أو طبيعة وغيرها.

وقد اعتمدنا في ذلك ثلاثة حقول معجمية التي تنطبق على ميل الشاعر الخمار ومحمد الأخضر السائحي وهم (معجم الطبيعة والحزن والوجدان).

1- معجم الطبيعة:

تعتبر الطبيعة الملاذ الوحيد، والصديق الأنيس لشاعر الرومانسي حيث يجد فيها كل معان الراحة والصفاء.

لذلك يلجأ الشاعر إلى أحضان الطبيعة لتلهم وجدانه فينجر نبع من العواطف والأحاسيس التي يترجمها الشاعر لنا، كما لاحظنا هذا عند الشعراء الخمار والسائحي أنهما يستعملان المعجم الطبيعي بكثرة.

مثلاً في قول الشاعر:

⁽¹⁾ - طه علي حسين الدليمي، كامل محمود نجم الدليمي: أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية، دار الشروق، رام الله، ط1، 2004، ص17.

« طوبى على الأرض كالإعصار هائجة وعانقي بالشظايا شاهق السحب »⁽¹⁾.

يتضح في هذا البيت وجود المعجم الشعري الطبيعي، حيث وظف الشاعر هذه الكلمات (الأرض، الإعصار، السحب) لتوحي لنا بإحساس الشاعر حيث يعني بهذا معنى القوة والتحدي. ويقول الشاعر أيضا:

« موسم الشعر قد أظلك فاهتف مرحبا بالربيع في ريعانه

مسح الكون مقلتيه .. وعادت نظرات الصبا إلى أجفانه

في الرياض الغناء، في الزهر الضاحك فيها، في السهل في وديانه »⁽²⁾.

من خلال ألفاظ هذه الأبيات نرى الشاعر يعبر عن مدى ابتهاجه بفصل الربيع وتغنيه به، من خلال ألفاظ موحية بعبارات واضحة وسهلة وبسيطة نحو (الربيع، الزهر، السهل، الوديان)، وكلها حقل دلالي وهو الطبيعة، وبهذه الكلمات يلجأ الشاعر إلى الطبيعة ليث شكواه لأنه يجد الراحة والطمأنينة. وقال أيضا:

« مرهوبة كالليل كالبحر الخطير

محبوبة كالزهر كالطفل الصغير »⁽³⁾.

ونلاحظ في هذا المقطع وجود لحقل دلالي يدل على الطبيعة ومن ذلك الليل والبحر والزهر، وما نلاحظه في هذه الكلمات أنها تدل على معنيين فالليل والبحر يدلان على الإحساس بالخوف والرهبة أما الزهر فهو يدل على الجمال وعلى الطاقة وعلى المشاعر والعواطف النقية:

وفي قول الشاعر نجد:

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص63.

⁽²⁾ - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص43.

⁽³⁾ - المصدر نفسه، ص90.

« كُتِبَ أنت؟ أم سنا وضياء؟ ورمال؟ أم فتنة ورواء؟
 وسكون مخيم ووجوم؟ أم غناء مرجع وحداء؟
 وبساط ممهد من حرير؟ أم هضاب على الثرى شماء؟»⁽¹⁾.

لقد وضع الشاعر لوحة فنية للغته من خلال رسم كلماته (كتب رمال، هضاب) كلها ضمن حقل دلالي وهو البيئة الصحراوية فجاءت عباراته وألفاظه مستوحاة من الوسط الطبيعي الدالة على تجربة صحبة مرَّ بها الشاعر.

ويقول الشاعر أيضا:

« يا نجوم الليل رفقا لا تدبي
 يا رياح الأرض نامي لا تهبي
 لحظة أيتها الأفلاك .. لي
 وارجمي بي نحو أطلال بقلبي»⁽²⁾.

وبين هذه الكلمات نجد بعض العبارات المستوحاة من الطبيعة وقد وظفها الشاعر هنا لكي يعبر عن الأحاسيس التي يشعر بها، لأن رمز الطبيعة الصورة الصادقة لأحاسيس الشاعر، التي يعتمد عليها لتكون الإلهام العظيم لقلبه.

ونستخلص من هذا أن الشاعر الروماني لا يستغني عن أمه الطبيعة إلى آخر حياته فهو يعتبرها الأم الحنون التي تشعره بالأمان والطمأنينة.

⁽¹⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص 89.

⁽²⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص 98.

2- المعجم الوجداني:

من خلال دراستنا لقصائد الشعراء نلاحظ أن المعجم الوجداني هو أساس التعبير، إذ نجد الشاعر الرومانسي يستند إلى وجدانه في وصف حبه وأمه وجميع أحاسيسه. مثلما نجد في قول الشاعر:

« يا ملاك النشيد رفقا بروحي
فحنانيك قد ملأت وجودي
فيك من نعمة الحنان رنين
كالأماني أو كابتهاج الوليد»⁽¹⁾.

ونلاحظ في هذا المقطع وجود المعجم الوجداني الذي عبر به الشاعر عن مكونات مشاعره وحبه العميق بكلمات نابغة من الأحاسيس منها (الملاك، روعي، وجودي، حنان والإنتاج وكل هذه العبارات تدل على الحب والعاطفة التي تعشش في وجدان الشاعر. ويقول الشاعر أيضا:

« لعينيك ما شبَّ في أضلعي وما أهل يا فتنتي من جفوني
وما صنع السهد في مضجعي
دنوت بجبك من مصرعي
ورحت ضحية تلك العيون»⁽²⁾.

عبر شاعرنا في هذه الأبيات عن مدى لوعته وحرقة، إذ يصغر لنا مدى عشقه والتضحيات التي قدمها من أجل حبيبته والعذاب الذي تعذب به من أجلها، ولكن هذه المشاعر العميقة تكن نوعان من عواطف الحب والحزن اتجاه من يجب. وقال أيضا:

« أنت في عيدك الكبير وهذي
فرحة الكون بالصباح الجديد
طالما قد سكت فاشد قليلا
حان وقت الغناء والتغريد»⁽³⁾.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص100.

⁽²⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص161.

⁽³⁾ - المصدر نفسه، ص115.

من خلال هذه الأبيات نلاحظ أن الشاعر متفائل بالعيد وقد استعمل معجما وجدانيا عن تعبيره لهذا اليوم وهو (فرحة الكون، صباح جديد، فاشد، الغناء، التغريد)، كل هذه العبارات تدل على تلك الفرحة العميقة التي يشعر بها الشاعر وهو يعبر عنها.

ويقول الشاعر:

« لحسنتك أسلمت قلبي وحيي

فإن شئت أسلمت روحي إليك »⁽¹⁾.

وقد استعمل الشاعر في هذا المقطع مجموعة من الكلمات تندرج ضمن حقلا وجدانيا، ومنه (قلبي، حبي، روحي) وكل هذه الكلمات تعبر عن تلك العواطف العميقة الجياشة التي يشعر بها الشاعر.

ويقول أيضا:

« من وحشة الليل، من أعماق زوبعة مسودة القلب، من دوامة الألم

من صرخة الثأر في تاريخنا لهب بعثت أوراسنا، يا مرعد النغم»⁽²⁾.

لقد عبر الشاعر في هذه القصيدة الحزن العميق الداخلي الكبير الذي يسكن وجدانه حيث وظف في ذلك بعض الألفاظ الدالة منها (الليل زوبعة، مسودة القلب، دوامة الألم، صرخة، لهب) جل هذه الكلمات تعبر عن مآسي وأحزان وهموم عاشها الشاعر.

من البديهي أن يعبر الشاعر الرومانسي عن مشاعره وأحاسيسه من الأعماق والوجدان، سواء أكان هذا عن الحب أو عن الألم والحزن وهذا ما لاحظناه عند شعرائنا الجزائريين، ونخص بالذكر أبو قاسم خمار ومحمد الأخضر السائحي.

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص75.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص9

3- معجم الحزن:

لقد أخذ الحزن مكان في قلب الشاعر الرومانسي، ولكنه بذلك غدا يعبر عنه بألفاظ حادة تعبر عن هذه المشاعر من الأعماق مقل قول الشاعر:

« أحس الكآبة في مهجتي وأشعر بالبؤس في النفس يسري
وعند التعاسة أحيأ سعيدا لأن التعاسة كانت بأمرى »⁽¹⁾.

حيث اعتمد الشاعر في هذه الأبيات على معجم الأحزان (الكآبة، البؤس، التعاسة) وقد وصف حزنه وعبر عنه تعبيرا حاد، حيث صور الحزن والبؤس وكأنه يسري في نفسه مثل الدم الذي يسري في العروق وهذا يعبر عن ذلك الشعور العميق بالألم والكآبة.

وقال أيضا:

« كيف مزقتي فؤادي؟ كيف حطت ضلوعي
لا تبالي بسهادي لا تبالي بدموعي
أيها القاسي الحبيب »⁽²⁾.

ألفاظ هذه القصيدة معبرة عن كثير من الآلام، فالشاعر عبر عن مدى تحسره وشعوره بالوحدة والحزن إزاء من يحب فهو يشعر بالبكاء، إلا أنه لم يلقَ الاهتمام الكافي والمواساة رغم كل شيء وقد وظف في ذلك حقلًا دالا على الحزن والألم (مزقت، حطمت، القاسي، دموع)، وهي محملة بألم وحزن كبير.

ونجد في قول الشاعر أيضا:

« مازالت الدموع والمآسي

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص62.

⁽²⁾ - محمد الأحضر السائحي: همسات وصرخات، ص159.

تلوح من أحرفه شجيه»⁽¹⁾.

والدلالة على هذا المقطع هو الحزن والألم الذي يعاني منه الشاعر ويصف ذلك الحزن مستعملاً حقلاً من الكلمات المعبرة عن ذلك وهي (دموع المآسي)، وكل هذا يعاني منه الشاعر في حياته، ونجد أن الشاعر الرومانسي أكثر تأثراً بالمآسي التي تحصل أكثر من الإنسان العادي وفي قصيدة أخرى يعبر فيها الشاعر فيقول:

« أي دمع أي لحن يطفئ اللوعة فياً؟
كيف أبكي أو أغني وفؤادي في يدياً؟ »⁽²⁾.

ويحرق الشاعر دائماً في بحر الأحزان، موظفاً دلالات وألفاظ توحى بهذا الألم وهذا ما نجده في هذه الأبيات (دمع، اللوعة، أبكي، فؤادي) وجميعها دالة على الحزن والألم والكآبة التي يشعر بها الشاعر.

وقال الشاعر:

« أكره ما أكره أن أكتب بالدموع
وأن أكون داعياً للحزن
والولوع
لكنني بكيت
في مرارة المفجوع »⁽³⁾.

ولوعة وآسى يهز الشاعر من الوجدان هذا ما لاحظناه في هذه الأبيات حزن عميق لا يضاهيه شيء، مع استعمال حقلاً دلالياً يدل على لوعة حزنه وألمه وهي (الدموع، الحزن، الولوع،

⁽¹⁾ - محمد الأخصر السائحي: همسات وصرخات، ص 103.

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص 87.

⁽³⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج 1)، ص 133.

مرارة، مفجوع)، فهذه العبارات تؤكد لنا على أن حزنا كبيرا قد اجتاح قلب الشاعر جعله يرى الدنيا مرارة وفاجعة.

وما نستنتجه هنا أن شعور الشاعر بالحزن والتعبير عنه بكلمات وألفاظ دالة على ذلك هو أمر لا جدال فيه، ولاسيما الشاعر الرومانسي الذي يكون غارقا في بحر أحزانه وإحساسه بهذا أكثر من الإنسان العادي.

المبحث الثالث: الإيقاع

يعتبر الإيقاع أهم العناصر التي يعتمد عليها الشعر ومن أبرز سماته لذلك « فالموسيقى تعتمد على الناحية الصوتية التي تقسم الجمل إلى مقاطع متناسقة تكون وحدات معينة على ترتيب معين بقطع النظر عن بداية الكلمات ونهايتها»⁽¹⁾.

لذلك تعد الموسيقى العنصر الأساسي والمميز، لأنه يهتم بالناحية الصوتية ويجعل من الأصوات والمقاطع متناغمة، ومن الوحدات مرتبة، وذلك ما يترتب عنه ذلك الإيقاع الذي يميز الشعر عن السائحي على قواعد وأسس إيقاعية وتنقسم إلى نوعين إيقاع خارجي يرتكز على تواتر النغمة الموسيقية لبحر من البحور الشعرية، وإيقاع داخلي يقوم على الجناس والطباق.

أولاً: الإيقاع الخارجي

لاشك عند الباحثين في خبايا الشعر العربي أن نشأته مستمدة من الغنائية الموسيقية، فالموسيقى أبرز صفات الشعر، فالقدماء لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النثر، إلا ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي.

ويتكون الإيقاع الموسيقي من الوزن والقافية إلى جانب « الموسيقى الداخلية التي تقدر عن التناغم الذي يتم في السياق الشعري بين الكلمات والحروف ذات الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في مواضع مختلفة من البيت الشعري الواحد »⁽²⁾.

ولما كان الشعر هو التعبير بالموسيقى عن عمق أسرار النفس وفق التجربة التي يخوضها الشاعر، فإن هناك من يربط بين الأوزان وبين الحالات النفسية العاطفية.

(1) - عبد الله درويش: دراسات في العروض والقافية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1987، ص8.

(2) - أمين عبد الله سالم: عروض الشعر بين التقليد والتجديد، مطبعة منجد، ط1، 1980، ص11.

يؤكد شكري عياد في كتابه موسيقى الشعر العربي ويتوافق مع إبراهيم أنيس الذي يقول: « والقيمة الحقيقية للإيقاع وذلك النوع منه المسمى بالوزن لا تكمن في العلاقات الصوتية نفسها بل فبالتهيؤ النفسي الذي يحدثه الأثر الأدبي الجيد من خلال شبكة عظيمة من العادات والمشاعر والدوافع يبدأ من الكلمات الأولى ويستمر »⁽¹⁾.

ولأن الموسيقى الشعرية تركز على عناصر إيقاعية متفاعلة فيما بينها تساهم في نسج إيقاع القصيدة استمالة، وتأثيراً وتوقيفاً.

في هذا المبحث سنحاول أن نتناول الوزن الموسيقي الخارجي، ونتعرف على تواتر البحور الشعرية في الديوانين الشعريين (همسات وصرخات) لمحمد الأخضر السائحي، و(الأعمال الشعرية الكاملة-ج1) لأبو القاسم خمار، أما عن الموسيقى الداخلية فنعني بها التلوين الموسيقي الداخلي من جناس وطباق وتكرار.

سنركز على تصنيف إبراهيم أنيس للبحور الأكثر شيوعاً في التراث الشعري العربي القديم الخاص بالموسيقى الخارجية.

حيث يقول: « إذا قورنت هذه النسبة بعضها ببعض استطعنا الحكم على أنّ البحر الطويل قد نظم منه ما يقرب ثلث الشعر العربي، وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم ولاسيما في الأغراض الجدية الجليلة الشأن وهو لكثرة مقاطعه يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة تلك عنى بها الجاهليون عناية كبيرة، وظل الشعراء يعنون بها في عصور الإسلام الأولى ثم نرى كلا من الكامل والبسيط يحتلان المرتبة الثانية في نسبة الشيوخ وربما جاء بعدهما الوافر والخفيف وتلك هي البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء ويكثرون النظم منها ... أما المتقارب والرمل والسريع فتلك بحور تذبذبت بين القلة والكثرة يألفها

(1) - شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1968، ص142.

شاعر ويكاد يهملها شاعر آخر ... ويمكننا بقليل من التسامح أن نعدّها من الأوزان العربية التي كانت الآذان تستريح لها»⁽¹⁾.

وإذا عدنا إلى الشعر الجزائري الحديث والمعاصر في هذا الشأن فإننا في البداية نقدم التواتر الجزئي في كل ديوان:

$$\text{فقاعدة النسبة هي كآآتي: } \frac{\text{العدد الجزئي} \times 100}{\text{العدد الكلي}} = \text{النسبة المئوية}$$

بالنسبة للبحور الشعرية المستعملة في الأعمال الشعرية الكاملة ج 1 (لأبو القاسم خمار) التي تشمل: 1- إرهابات سرايية من زمن الاحتراق، 2- أوراق، 3- ربيعي الجريح، 4- ظلال وأصداء.

بخصوص البحور الشعرية المستعملة في هذه الدواوين يبين الجدول الآتي تواترها فيه وعدد القصائد: 129.

التسلسل	البحر	عدد القصائد	النسبة
01	الخفيف	33	25,58
02	الكامل	28	21,70
03	الرمل	25	19,37
04	المتقارب	17	13,17
05	الرجز	14	10,85
06	الوافر	07	5,42
07	البسيط	05	03,87
	المجموع	129	% 99,96

⁽¹⁾ - إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1981، ص191.

جدول رقم 01: خاص بتواتر البحور الشعرية (ديوان الأعمال الشعرية الكاملة أبو القاسم خمار، ج1).

ما لاحظناه حول توزيع البحور الشعرية في هذه الدواوين:

- 1- الغياب الكلي للبحر الطويل في الدواوين وهذا ما يومية بفقدان البحر جدارته وميل الشاعر إلى البحور البسيطة المناسبة لشعر التفعيلة.
- 2- هيمنة البحر الكامل في الدواوين (أوراق، ريعي الجريح، إرهافات) بنسبة 23,07% من مجموع واحد وتسعون قصيدة، وخفوته في ديوان ظلال وأصداء، فالهيمنة الكلية كانت للبحر الخفيف بنسبة 54,28% من مجموع القصائد الخمس والثلاثين قصيدة ونسبة الكامل 20%، ومع ذلك فقد حافظ الكامل على رتبته بالنسبة لتقييم إبراهيم أنيس إذ يأتي بعد البحر الطويل مباشرة.
- 3- بالنسبة للمتقارب والرمل والرجز تسلقوا في المنظومة الإيقاعية للشاعر بدرجات متفاوتة بناء على تقييم إبراهيم أنيس، وبناء على النسب المحققة.
- 4- نلمح تراجع البحر الوافر البسيط إذ نجدهما في ذيل الترتيب والتواتر الإيقاعيين.
- 5- وظف الشاعر سبعة بحور شعرية فقط وهي الخفيف والكامل والرمل والمتقارب والرجز والوافر والبسيط على الترتيب.

أما بالنسبة للجدول الخاص بتواتر البحور الشعرية في ديوان همسات وصرخات، والذي يتضمن بدوره 59 قصيدة وهو كالاتي:

النسبة	عدد القصائد	البحر	التسلسل
35,59	21	الرمل	01
30,50	18	الخفيف	02
22,08	13	المتقارب	03
5,08	03	الكامل	04

3,38	02	الطويل	05
3,38	02	البسيط	06
% 100	59	المجموع	

جدول رقم 02: خاص بتواتر الحور الشعرية لديوان همسات وصرخات.

يتضح من خلال الجدول أن الشاعر أفرغ طاقته الموسيقية في بحر الرمل، الذي نال شرف الخطوة والحضور في الديوانم البحور الصافية الخفيف، المتقارب والكامل، مع تفهقر البحر الطويل وفقدان البسيط مرتبته في التصنيف لدى إبراهيم أنيس.

وفي ما يلي نقف على التواتر الكلي والحقيقي للبحور الشعرية بالنسبة للتجربة الشعرية بالنسبة للتجربة الشعرية لدى الشعراء (محمد الأخضر السائحي وأبو القاسم خمار) وعدد القصائد 188 قصيدة، والجدول الآتي يبين ذلك.

النسبة	عدد القصائد	البحر	التسلسل
27,12	51	الخفيف	01
24,64	46	الرمل	02
16,48	31	الكامل	03
15,95	30	المتقارب	04
7,44	14	الرجز	05
4,25	8	الوافر	06
3,19	6	البسيط	07
1,59	3	الطويل	08
% 100	188	المجموع	

جدول رقم 03: خاص بتواتر البحور الشعرية في الديوانين (الأعمال الشعرية الكاملة لأبو قاسم خمار ج1، وهمسات وصرخات لمحمد الأخضر السائحي).

- نلاحظ في الإيقاع الخارجي الخاص بالتجربتين أن الشاعرين وظفا ثمانية بحور من ستة عشر بحرا على الترتيب: الخفيف، الرمل، الكامل، المتقارب، الرجز، الوافر، البسيط، الطويل
- تقهقر البحر الطويل الذي كان له الصدارة في الشعرية العربية القديمة، وتسلق البحر الخفيف من المرتبة الخامسة إلى الصدارة في التجربة الشعرية الجزائرية الحديثة والمعاصرة.
- حافظ البحر الكامل على مكانته إذ بقي في المراتب الأولى.
- الرمل بحر كان متذبذب الحضور، بين القلة والكثرة، لكنه أصبح مهيمنا على التجارب الشعرية الحديثة بحكم تفاعلاته المتسارعة الخفيفة - فاعلاتن - في التجربة الجزائرية الحديثة ونال الخطوة في المرتبة الثانية.
- يلاحظ تسلق البحور الصافية في التجربة الشعرية الجزائرية الحديثة، كالرمل، والكامل والمتقارب والرجز.
- تقهقر البحور المركبة كالبسيط والطويل والوافر وتمثيلا للحضور الإيقاعي الخاص بالبحور الشعرية الرائدة والتي لها الصدارة والخطوة، البحر الخفيف والرمل والكامل والمتقارب على الترتيب.

فنى شواهد شعرية:

يقول محمد الأخضر السائحي في قصيدة "قصة تائر" من البحر الخفيف.

« هب من نومه على قدميه شاخصا في الفضاء بين يديه
فخيال الرؤى التي سحرته لم يزل واضحا على عينيه »⁽¹⁾.

هَبَّ مِنْ نَوْمٍ عَلَى قَدَمَيْهِ | قَدَمَيْهِ
0/ 0/ /0/ | 0// 0// | 0/ 0//

فاعلاتن | مُتَفَعَّلُنْ | فَعَلَاتُنْ

⁽¹⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص13.

شَاخِصَنَ فِإِ | فُضَاءِ يِّي | نَ يَدِّيهِئِي

0/ 0/// | 0/ / 0// | 0/ 0/ /0/

فاعلاتن | مُتَفَعَلْنَ | فَعَلَاتِن

ويقول أبو القاسم خمار من نفس البحر في قصيدة "صوت الشباب"

« إيه قلبي قد هزك الآن صوت فتمنيت أن تموت شهيدا

ذلك صوت الشباب من أعماق الأعماق ثار موحدا مشدودا»⁽¹⁾.

إِيهِ قَلْبِي | قَدْ هَزَّكَ لُ | لَأَنَّ صَوْتُئِي

0/0//0/ | 0//0/0/ | 0/0/ /0/

فاعلاتن | مستفعلن | فاعلاتن

فَتَمَنِّي | تَ أَنْ تَمُو | تَ شَهِيدَنِي

0/ 0/// | 0//0// | 0/ 0///

فَعَلَاتِن | متفعلن | فَعَلَاتِن

أما البحر الذي يلي بحر الخفيف "بحر الرمل"

يقول محمد الأخضر السائحي في قصيدة "مصرع بلبل" في رثاء الدكتور أحمد أبو شادي

« رف كالظل على دوحته مرحا يرقص من فرحته»⁽²⁾.

رَفَفَ كَطَظْلٍ | لِ عَلَي دَوْ | حَتِيهِئِي

0/// | 0/ 0// | // | 0/ 0///

فاعلاتن | فَعَلَاتِن | فَعَلْنَ

ويقول أبو القاسم خمار في قصيدة "الغريب"

« أنا يا دنيا لولا أنني غارق، في الشوق قلبي ما شكا

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص 37

⁽²⁾ - المصدر نفسه، ص 107.

أن لي في كل أرض ألفة وبهم أمسي ويومي اشتبكا»⁽¹⁾.

أَتِيَا دُنْ | يَأِي لَوْلَا | أُنَّيْ

0//0/ | 0/0/ /0/ | 0/ 0///

فَعَلَاتِن | فاعلاتن | فاعلن

عَارِقُنْ فِشْ | شَوْقِ قَلْبِي | مَشْتَكَا

0//0/ | 0/0/ /0/ | 0/ 0//0/

فاعلاتن | فاعلاتن | فاعلن

أما بحر الكامل فيقول محمد الأخضر السائحي في قصيدة ربيع:

« سحر سرى في الكون من نفحاته بعث السرور به فبات يعربد

في كل دار للسعادة يقظة وبكل قلب للسعادة مرقد»⁽²⁾.

سِحْرُنْ سَرَى | فِلَكُونِ مِنْ | نَفْحَاتِي

0//0/// | 0/ /0/0/ | 0// 0/0/

مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ

بَعَثَ سِسْرُو | رَ بِي فَبَا | تَ يُعْرِبِدُو

| 0//0/// | 0// 0// | 0//0 ///

مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ

ويقول أبو القاسم خمار في قصيدة "إلى أمي":

« لو كان غير الله يعبد في الورى لعبدت أمي بعد ذكر الباري »

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص38.

⁽²⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص125.

لَعَبَدْتُ أُمَّ | مِئِي بَعَدَ ذِكْ | رِ لُبَارِي

0/0/0 / | 0/ /0/ 0/ | 0/ /0///

لَوْ كَانَ عَنِّي | رَ لَلَّاهِ يُعْ | بَدُ فِلَوْرِي

0//0/ // | 0/ /0/0 / | 0/ /0/0/

مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ

مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ | مُتَّفَاعِلُنْ

أما عن البحر المتقارب الذي يأتي في المرتبة الرابعة، يقول أبو القاسم خمار في قصيدة

"التحدي"

« سأبقى غريبا وحيدا بدھري سأنحت في الصعب دنيا لعمري »⁽¹⁾.

سَأَبْقَى | غَرِيبَنْ | وَحِيدَنْ | بَدْهَرِي

0/0// | 0/0// | 0/0// | 0/0//

فَعولن | فَعولن | فَعولن | فَعولن

سَأَنْحُ | ثُ فِضْصَعُ | بِ دُنْيَا | لَعْمَرِي

0/0// | 0/ 0// | 0/ 0/ // | /0//

فَعول | فَعولن | فَعولن | فَعولن

وفي قصيدة "شهر مارس" يقول محمد الأخضر السائحي:

« لعمرك ما مارسٌ في الشهور سوى بسمة الأمل الراضية

فإن عصفت فيه أمس الخطوب وهبت زوابعه عاتيه »⁽²⁾.

لَعْمَرُ | كَ مَا مَا | رِسُنْ فَشْ | شُهُورِي

0/0// | 0/ 0// | 0/ 0/ // | /0//

فَعول | فَعولن | فَعولن | فَعولن

⁽¹⁾ - الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، ص62.

⁽²⁾ - محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، ص85.

سَوَى بَسْن | مة لَأ | مَلِ زَرَأ | ضِيَه

0// | 0/0 // | /0 // | 0/ 0//

فعولن | فعول | فعولن | فعو ← فعل

ثانيا: الإيقاع الداخلي:

وكما ذكرنا سابقا أن الإيقاع الداخلي هو الإيقاع الذي يتركز على مجموعة من الأمور وهي الطباق والجناس ، وجلَّ هذه العناصر أساسها المتين وسماتها الأساسية التعبير عن العواطف والتجارب الشعورية لدى الشاعر.

أ- الطباق:

هو بمعنى التضاد أي أن يكون لفظين متعاكسين « وذلك لإثارة القارئ، وإيقاظ نفسه، وتعمق الشعور بالمعنى عنده، بطريق إبراز المفارقة بشكل أكثر جلاء من خلال المحاورة بين الضدين »⁽¹⁾.

وهذا ما نلاحظه بكثرة في تجربة كل من الشعارين "أبو القاسم خمار" و"محمد الأخضر السائحي".

فنجد مثلا في قصائد أبو قاسم خمار الكثير من أنواع الطباق منهم:

* ضياء ≠ ظلام، طباق إيجاب ص71.

اليسر ≠ العسر، طباق إيجاب ص88.

الخير ≠ الشر، طباق إيجاب ص88.

ذهاب ≠ إياب، طباق إيجاب ص7.

كبار ≠ صغار، طباق إيجاب ص12.

وراء ≠ أمام، طباق إيجاب ص59.

وفي قصائد الشاعر السائحي:

⁽¹⁾ - محمد علي سلطان: المختار في علوم البلاغة والعروض، ص150.

- * الشتاء ≠ الصيف، طباق إيجاب ص14.
- حزن ≠ سعيد، طباق إيجاب ص16.
- قريب ≠ بعيد، طباق إيجاب ص17.
- فقيرة ≠ غنية، طباق إيجاب ص24.
- قوي ≠ ضعيف، طباق إيجاب ص26.
- الهدم ≠ البناء، طباق إيجاب ص19.

ولم يكتفِ أبو قاسم خمار في استعمال الطباق إلى هذا الحد فقط بل واصل توظيف هذا النوع

من الألفاظ الزيادة معنى كلامه مثلا نجد:

- * ليل ≠ صباح، طباق إيجاب ص49.
- الجن ≠ الإنس، طباق إيجاب ص50.
- خلف ≠ أمام، طباق إيجاب ص60.
- قريبة ≠ بعيدة، طباق إيجاب ص43.
- مطمئن ≠ مخيف، طباق إيجاب ص47.
- ذليل ≠ ظالم، طباق إيجاب ص23.
- ليل ≠ نهار، طباق إيجاب ص53.
- * بكاء ≠ ضحك، طباق إيجاب ص47.
- حرب ≠ سلام، طباق إيجاب ص111.
- آمال ≠ آلام، طباق إيجاب ص112.
- حب ≠ كره، طباق إيجاب ص45.
- يسألوني ≠ لا تسألوني، طباق سلب ص50.

وواصل أيضا محمد الأخضر السائحي في توظيف الطباق ومنه:

- * الجنة ≠ النار، طباق إيجاب ص14.

السلام ≠ الحرب، طباق إيجاب ص 19.

النور ≠ الظلام، طباق إيجاب ص 47.

مات ≠ حي، طباق إيجاب ص 59.

إضحك ≠ أبكيت، طباق إيجاب، ص 102.

ونلاحظ هنا أن كلا الشاعرين في توظيف الطباق معظم الكلمات المتشابهة، وربما هذا يعود لأن كلا الشاعرين قد كتبا في نفس المواضيع وخاصة المواضيع التي تأسر الشاعر الرومانسي.

2- الجناس:

وهو أن « تتشابه اللفظان في الشكل الخارجي وتختلفا في المعنى، وإنما يأتي الأديب بهما هكذا ليثير السامع مرتين:

أولهما حين يوهمه للوهلة الأولى بأن المعنى فيهما واحد.

والثانية حين تتنبه قدرات السامع لمعرفة المعنى المراد من الكلمة الثانية عندما يدرك أن المقصود بها معنى آخر»⁽¹⁾.

وللجناس نوعان تام وغير تام

« ففي الجناس التام تتفق اللفظتان في كل شيء عدا المعنى »⁽²⁾.

ونجد في الجناس الغير تام « أن يتفق اللفظان في بعض الأمور المتقدمة في الجناس التام »⁽³⁾.

ويبدو أن الشاعرين محمد الأخضر السائحي وبلقاسم خمّار قد استعملا الجناس بطريقة واضحة ومكثفة.

مثلا نجد في الأعمال الشعرية لخمار ومحمد الأخضر السائحي الجناس كالتالي:

(1) - محمد علي سلطان: المختار في علوم البلاغة والعروض، ص 163.

(2) - المرجع نفسه، ص 164.

(3) - المرجع نفسه، ص

الصفحة	الديوان	نوعه	المثال
21	الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار	غير تام	مهجتي - بغيتي
21	المصدر نفسه	غير تام	طغى - بغي
22	المصدر نفسه	تام	العرب - العرب
27	همسات وصرخات	غير تام	الحانية - الحامية
27	المصدر نفسه	غير تام	العالية - العالوية
63	المصدر نفسه	غير تام	جروحي - روجي
24	الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار	غير تام	قريب - غريب
94	همسات وصرخات	غير تام	الحائرة - السائرة
95	المصدر نفسه	غير تام	السلاما - الظلاما
29	الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار	غير تام	غافلا - قافلا
30	المصدر نفسه	غير تام	الهوى - الجوى
37	المصدر نفسه	غير تام	الشديدا الحديددا
117	همسات وصرخات	غير تام	المسير - المصير
157	المصدر نفسه	غير تام	حوانا - هوانا
22	الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار	غير تام	النجوم - الوجوم
35	المصدر نفسه	تام	الشمس - الشمس
138	همسات وصرخات	غير تام	أماله - أعماله
138	المصدر نفسه	غير تام	أحواله - أمواله
169	المصدر نفسه	غير تام	الجهال - الجمال
75	الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار	غير تام	أمامه - زمامه

117	المصدر نفسه	غير تام	كسيح - مسيح
5	المصدر نفسه	غير تام	كتابي - كتّابي
153	همسات وصرخات	غير تام	سنمضي - ستقضي
187	المصدر نفسه	غير تام	غلاله - ضلاله
122	الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمّار	غير تام	التغريب - البريد
	المصدر نفسه	تام	قلبي - قلبي
143	همسات وصرخات	غير تام	الفدّا - العدّا

خلفاء

ومن خلال دراستنا نستخلص عدة نتائج تتمحور في:

- أن الرومانسية إبداع قام كردة فعل على الأوضاع الكلاسيكية القديمة من أجل الابتكار وذلك بسمو العواطف وتقديم الخيال على العقل.
- يعتبر الوجدان الركيزة التي يسمو بها الرومانسي، من خلال قوة انفعالاته النفسية التي يعبر فيها عن عمق مشاعره وأحاسيسه.
- إن بروز الشعر الوجداني فتح آفاق عالية للشعراء الذين يعبرون من صميم أحاسيسهم ومشاعرهم العاطفية الصادقة.
- أن الولادة الأولى للرومانسية ونشأتها كان في العالم الغربي وذلك بسبب تلائمها مع مناخهم الذي أدى إلى بروزها وهيمنتها.
- ظهور الرومانسية العربية بعد الغربية، وذلك بسبب النهضة الحديثة، ومما ساعد على توسعها وتطورها بعض المدارس التي أعطتها قيمة عظيمة لسموها في العالم العربي.
- لقد تميز الاتجاه الوجداني في هيكله بعدة خصائص ميّزته عن باقي الإبداعات الأخرى.
- الاتجاه الوجداني في الجزائر ولدته ظروف قاسية عاشها الشعراء عبروا عنها بكامل أحاسيسهم ومشاعرهم.
- بروز الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري لم يتولد من الفراغ، بل ساعدت في تطوره بعض المؤثرات السياسية والاقتصادية والثقافية والبيئية.
- إن تمجيد الحزن والألم لم يظهر هكذا بل نتيجة لتلك الظروف القاسية التي طفت على المجتمع الجزائري.

- تعتبر العاطفة والحب عند الشاعر الرومانسي من أسمى الأحاسيس التي التهمت وجدانه وغذت شعوره فهي ثمرة قلبه ونبع أحاسيسه.
- إن الذات هي منبع وجود الشاعر الرومانسي، فهي تعبير عن أصدق مشاعر النفس وتطلعاته، وذلك ما يظهر في أشعارهم.
- لقد تغنى الشاعر الرومانسي بالطبيعة وجعلها الملاذ الوحيد والصديق المخلص الذي بها تتدفق مشاعره وتتغذى روحه.
- الغربة عند الشاعر الرومانسي من المواضيع الجوهرية هيمنت على متخيله الشعري.
- الصورة الشعرية لدى الشاعرين أداة فعالة للكشف عن التجربة الوجدانية.
- حضور الاستعارة والكناية بقوة في الشعر الرومانسي، تجسيد للتجربة الشعرية.
- اعتمد الشعراء الرومانسيون على التشبيه باعتباره من أبرز الصور الشعرية.
- اللغة الشعرية تنوعت فضاءاتها المعجمية كانت: طبيعية، وجدانية، ذاتية، عاطفية، سياسية، اجتماعية.
- تناغم الإيقاع الخارجي مع الإيقاع الداخلي للتعبير الأحاسيس والمشاعر الوجدانية الدفينة.
- كان بحر الرمل أوفر حظاً وحضوراً على باقي البحور الشعرية لدى الشاعرين.

الغلاف فوق

السيرة الذاتية للشاعر محمد بلقاسم خمار:

« ولد أبو القاسم خمار سنة 1931، بمدينة بسكرة، تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى قسنطينة، ودرس بمعهد عبد الحميد ابن باديس، ثم سافر إلى تونس، ثم إلى سورية، وهناك نال شهادة الليسانس في الفلسفة، وكان يقدم صوت الجزائر من إذاعة دمشق خلال السنوات الأخيرة لحرب التحرير، شغل منصب أمين عام لإتحاد الكتاب الجزائريين وترأس تحرير مجلة ألوان أغلب إنتاجه الأدبي شعره وقد أصدر عدة مجموعات شعرية، يميل شعره نحو الرومانسية، يكتب القصيدة الشعرية التقليدية والعقيدة الحرة ويعد من رواد الشعر الحر في الجزائر.

من مؤلفاته الشعرية: أوراق، عن الشركة الوطنية والتوزيع 1967، ربيعي الجريح الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1970، ظلال وأصداء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1970، الحدف الضوء الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ - الربيعي بن سلامة، عمار ويس وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري ج1، ص324.

السيرة الذاتية للشاعر محمد الأخضر السائحي:

ولد محمد الأخضر السائحي سنة 1918، بقرية صغيرة تسمى (العلية) في الواحات بالجنوب الجزائري من أسرة فقيرة.

وحفظ القرآن وشيئا من علوم الدين واللغة بها. ثم انتقل إلى القرارة لطلب العلم ومنها إلى الزيتونة بتونس لمواصلة التعليم الثانوي.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية طرده الفرنسيون منها لنشاطه السياسي، فرجع إلى الجزائر، واستقر بالجنوب، متنقلا بين مدنه وقراه، يُعَلِّم وينشئ المدارس الأهلية، ويشجع النشاط الثقافي، ويحث تلامذته على طلب العلم ويهيئ لهم البعثات باقناع أهليهم، أو حتى بالرغم منهم أحيانا.

وفي سنة 1948 انتقل إلى باتنة، واتصل بالشيخ العيد .. وفي سنة 1952 التحق بالجزائر العاصمة، وبقي بها حتى الآن متنقلا بين الإذاعة والتدريس.

وهو رجل بسيط في مظهره وفي سلوكه وفي علاقاته مع أصدقائه، وحتى مع أطفاله الثمانية في البيت، مرح يحب النكت ويرويها، خفيف الروح والحركة كثير الأشعار، وحفاظ لها، حاضر البديهية فيها.

« وبعد الاستقلال واصل شاعرنا عمله التربوي والإعلامي ونشاطه الثقافي، كتب ونشر في الصحف والمجلات التونسية والجزائرية، كاتب وشاعر متمكن وإعلامي متميز، اشتهر ببرنامج ألوان في الإذاعة الجزائرية وله عدة دواوين ⁽¹⁾».

(1) -الربيعي بن سلامة، عمار ويس وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري ج1، ص 498.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- 1- الأعمال الشعرية الكاملة محمد بلقاسم خمار (ج1)، المؤسسة الوطنية، 2005.
- 2- علي محمود طه: ديوان علي محمود طه، دن، دط، دت.
- 3- محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.

ثانياً: المراجع

- 1- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1981.
- 2- إبراهيم خليل: الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، عمان، ط1-2، 2003، 2007.
- 3- إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة (ج2)، دار المعرفة الجامعية، دبلد، دط، 2009.
- 4- أبو قاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.
- 5- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2005.
- 6- أحمد محمد محمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء، الاسكندرية، دط، 2000.
- 7- أحمد محمود جواد مغنية: الغربة في شعر محمود درويش، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- 8- أحمد مصطفى المراعي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2007.
- 9- الربيعي بن سلامة وآخرون: موسوعة الشعر الجزائري، ج1، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2002.
- 10- آمال فريد: الرومانسية في الأدب الفرنسي، دار المعارف، القاهرة، دط، 1119.
- 11- إميل ناصيف: أروع ما قيل في الوجدانيات، دار الجيل، بيروت، دط، دت.

قائمة المصادر والمراجع

- 12- أمين عبد الله سالم: عروض الشعر بين التقليد والتجديد، مطبعة منجد، ط1، 1980.
- 13- أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، دط، 2005.
- 14- حجر عاصي: شرح ديوان إيليا أبو ماضي، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1999.
- 15- حليمي مرزوق: الرومانتيكية والواقعية في الأدب، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1983.
- 16- شفيق بقاعي، سامي هاشم: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1979.
- 17- شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 2005.
- 18- شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1968.
- 19- شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1993.
- 20- طه علي حسين الدليمي، كامل محمود نجم الدليمي: أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية، دار الشروق، رام الله، ط1، 2004.
- 21- عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد كتاب العرب، دمشق، دط، 1999.
- 22- عبد القادر قط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص9.
- 23- عبد القادر قط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، د بلد، دط، 1988.
- 24- عبد اللطيف سلمان: الفن الرومانتيكي، الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا.
- 25- عبد الله درويش: دراسات في العروض والقافية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3، 1987.
- 26- فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، د بلد، دط، دت.

قائمة المصادر والمراجع

- 27- فيصل سالم العيسى: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري العلمية، عمان-الأردن، دط، 2006.
- 28- محمد خفاجي: مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة، ط1، 2004.
- 29- محمد صديق المنشاوي: معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 2004.
- 30- محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، سوريا، دمشق، ط1، 2008.
- 31- محمد غنمي هلال: الأدب المقارن، شركة نهضة، مصر، القاهرة، ط3، 2003.
- 32- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1-2، 1985-2006.
- 33- مسعد بن عيد العطوي: الشعر الوجداني في المملكة السعودية، الرياض، ط2، 1420.
- 34- مسعد بن عيد العطوي: الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط2، 1420هـ.
- 35- مصطفى الصاوي الجويني: في الأدب العالمي (ج2)، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، الاسكندرية، دط، 2002.
- 36- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية للنشر، مصر، القاهرة، دط، 2003.
- 37- نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984.
- 38- نغم عاصم عثمان: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، دب، ط1، 2017.
- 39- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007.
- 40- يوسف ناوري: الشعر الحديث في المغرب العربي (ج1)، دار تويقال، المغرب، ط1، 2006.

ثالثا: المراجع المترجمة

- 1- سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: د.عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2001.

رابعا: المجلات

- 1- مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، الوجدانيات في أشعار الشريف الرضى.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
/	البسمة
/	شكر وعران
أ - ب - ج	المقدمة
8	الفصل الأول: تحديد المفاهيم
9	المبحث الأول: الوجدانية والرومانسية
9	أولاً: الرومانسية
11	ثانياً: الوجدانية
13	المبحث الثاني: الشعر الوجداني
13	أولاً: الشعر الوجداني
14	ثانياً: علاقة الوجدان بالشعر
15	المبحث الثالث: الرومانسية الغربية
17	أعلام الرومانسية الغربية
21	المبحث الرابع: الرومانسية العربية
22	I - الرابطة القلمية (شعراء المهجر)
24	II - مدرسة الديوان
25	III - مدرسة أبولو
26	أعلام الرومانسية العربية
29	المبحث الخامس: الاتجاه الرومانسي وخصائصه
29	أولاً: الاتجاه الوجداني
30	ثانياً: خصائص الاتجاه الرومانسي
30	1- الحزن والألم
30	2- الطبيعة

فهرس الموضوعات

31	3- الذاتية
31	4- العاطفة
31	5- توظيف المرأة
32	6- الخيال
33	المبحث السادس: الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث
34	أولاً: المؤثرات التي أدت إلى ظهور الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث
34	أ- المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية
35	ب- المؤثرات البيئية والنفسية
37	ج- المؤثرات الثقافية
37	1- المصدر العربي
37	2- المصدر الغربي
39	ثانياً: أعلام الرومانسية الجزائرية
41	الفصل الثاني: مظاهر الوجدانية في الشعر الجزائري الحديث
42	المبحث الأول: الألم والحزن
49	المبحث الثاني: العاطفة والحب
59	المبحث الثالث: الذاتية
67	المبحث الرابع: الطبيعة
72	المبحث الخامس: الغربة
78	الفصل الثالث: الخطاب الفني الوجداني
79	المبحث الأول: الصورة الشعرية
79	1- التشبيه
80	أ- أركان التشبيه
81	ب- أدوات التشبيه

فهرس الموضوعات

81	ج- أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه والأداة
81	1- التشبيه المؤكد
84	2- التشبيه المرسل
89	3- التشبيه البليغ
92	4- التشبيه المفصل
95	5- التشبيه المجمل
100	2- الاستعارة
100	أ- الاستعارة التصريحية
103	ب- الاستعارة المكنية
107	3- الكناية
112	المبحث الثاني: اللغة الشعرية
112	1- معجم الطبيعة
115	2- المعجم الوجداني
117	3- معجم الحزن
120	المبحث الثالث: الإيقاع
120	أولاً: الإيقاع الخارجي
129	ثانياً: الإيقاع الداخلي
129	أ- الطباق
131	ب- الجناس
134	الخاتمة
137	الملاحق
140	قائمة المصادر والمراجع
145	فهرس الموضوعات